الأمانة العامة
المقدسة

تحرير العبيد

بين الإمام السجاد عليه السلام

والرئيس لنكولن

تأليف

منذر كاظم آل هريد

مهرجان ترانيل سجادية الأول

عنوان کتاب: تحریر العبید بین الإمام السجاد علیه السلام و الرئیس لنکولن

پدیدآور[ان]: آل هریبد، منذر کاظم

نام ناشر: الأما نة العا مة للعتبة الحسینیة المقدسة . قسم العلاقات العامة

جلد[ها]: 1

نام و نام خانوادگی کاربر: محمد حسین وائلي

منبع: noorlib.ir کتابخانه دیجیتالی نور

تاریخ دانلود: 1404/3/27

تعداد صفحات دانلود شده: 168

تحرير العبيد

بين الإمام السجاد عليه السلام والرئيس لنكولن

منذر كاظم آل هريبد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الناشر

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم العلاقات العامة

تحرير العبيد

بين الإمام السجاد عليه السلام والرئيس لنكولن

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هوية الكتاب

الكتاب: تحرير العبيد بين الإمام السجاد عليه السلام والرئيس لنكولن

تأليف: منذر كاظم آل هريبد

الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: مؤسسة المنتدى ـ حسن سويدان

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

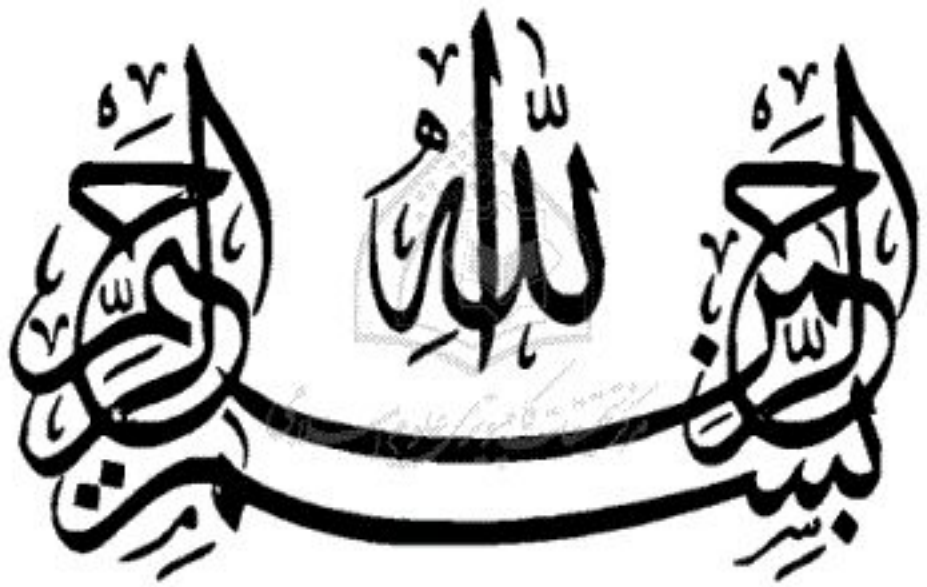

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[الزمر: ١٧ ـ ١٨]

الإهداء

إلى مكارم الأخلاق التي انضمت لبعضها وصاغ الرب منها بشراً أرسله لتحرير العالمين من كل القيو...

إلى من تتشرف الملائكة بخدمته وخدمة عترته الطاهرة...

إلى سيدي ومولاي ومالك رقي...

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

أهدي هذا الجهد القليل... وعيني ترقب رضاه.

شكر وتقدير

لا ينقطع شكري لله سبحانه وتعالى على توفيقه لي، للكتابة عن أحد أئمة أهل البيت الكرام عليهم السلام، وهي فوز لا يعادله فوز حيث يقضي من يؤلف في سيرتهم عليهم السلام وقتا غير قليل وهو يطالع أحاديثهم ويتلمس خطاهم ويرقب خطواتهم وتصرفاتهم مع عباد الله، فيصل إلى إحساس لا يساويه شيء في دنيانا هذه وهو الدنو من نور المعصومين والتلذذ بألطافهم العطرة.

وشكر أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام وجدهم خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله مرتبط بشكر الله سبحانه وتعالى فهم مظهر قدرته وعزته والخلق الأكمل الذين ارتضاهم وخلق المخلوقات من أجلهم وفي حبهم، فلهم مني كل ثناء، وكل امتنان وولاء.

ولا أنسى من أجاوره ومحله في سويداء القلب، لا يتزلزل عرش وده في القلب، و لا يهفو مقياس عشقه سيدي ومولاي ومن ألجأ إلى ضريحه عندما أرغب في بدء الكتابة وعندما أنتهي، وعندما تشح مني الكلمات أو تلوي أعنتها، فتتبدد مغاليقها ما أن أمسك بمقابض الشباك الطاهر، وينزل الحبر من فم القلم المبتسم نشيدا بحب محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، إنه سيدي وسندي القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وبعد الذرية الطاهرة أقف عاجزا عن شكر عائلتي التي رافقت كل صغيرة وكبيرة في البحث وبالخصوص أخي الدكتور نبيل كاظم.

وأشكر بعض الأخوة الذين بذلوا وقتهم، وجهدهم في تقديم المساعدة لي والتي ساهمت في إغناء البحث ووصوله إلى هذه المرحلة، وعلى رأسهم الأخ الأستاذ فلاح مجيد الحار الذي أعارني الكثير من المصادر النافعة ولم يكل أو يمل في رفدي بها، والشيخ فائز الفتلاوي مدير مكتبة آية الله الحكيم قدس سره في مدينتنا المقدسة، والأستاذ الدكتور أحمد جاسم مسلم الخيال، والأصدقاء بهاء حسين وحسين حمزة وجبار هويش، ومن إيران الإسلامية الأستاذ رحمن نوابي مقدم من قسم الكمبيوتر في مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي قدس سره الذي سهل الحصول على عدد من المصادر المهمة، رغم ضعف تواصلي معه باللغة العربية.

وإذا كنت قد نسيت بعض من مد يد لي العون، فإني أسأل الله الذي لا يسهو ولا ينسى أن يذكر الجميع بلطف رحمته، ويغمرهم بفيض كرامته، ويجعل سبيلنا وسبيلهم متصل بحبله المتين ومن به حياة الدنيا والدين محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وآله.

مقدمة الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً فوق حمد الحامدين والصلاة على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

لا يخفى على كل ذي لب أن الأعمال الجليلة هي التي يكون أثرها في جلب السعادة للآخرين، أو تخفيف معاناتهم، أو إرشادهم لما فيه الخير والصلاح.

ومن الأعمال التي خلدها التاريخ، وأشاد بها الصالحون، تحرير العبيد من براثن الرق.

ومع وجود شرائح مختلفة من البشر لا تزال تعاني من أثر بعض القيود المصطنعة التي فرضها الإنسان على أخيه الإنسان إلا أن نظرة خاطفة إلى العصور القديمة والوسطى تبعث الأمل في اكتمال النضج العقلي، حتى يصل إلى ما أراده الله منه عند بدء خلقه، وذلك عند ظهور الموعود المنتظر الذي بشرت به الأديان السماوية والشرائع الأرضية.

وفي سياق التطور الذي قطعه النوع الإنساني لتحصيل حقوقه كانت هناك محطات عديدة تتفاوت فيما بينها في مقدار الإضافة التي قدمتها للتاريخ والبشرية.

ومن أعظم المحطات التي برزت للعيان، ما جاء به الدين الإسلامي

في سبيل إنصاف الناس عموما، وتحرير العبيد خصوصا، وقد تحققت أسس ذلك على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وتعاقبت على توطيد ذلك البناء عترته الطاهرة من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ومن قفا أثرهم في ذلك من سائر المسلمين.

فتم على أياديهم العطرة، الكثير مما يطلق عليه حاليا "حقوق الإنسان" من حرية الرأي واحترام الفكر، والمساواة ونبذ التمييز العنصري وما شابه، في زمن كانت تعد هذه الأشياء من غرائب الأمور، بل ومن الأباطيل.

وبالإضافة إلى التجربة الدينية هذه، فإن هناك تجارب أخرى في إلغاء العبودية والسعي في تحرير الأرقاء، قد تبتعد عن التجربة الإسلامية في دوافعها وزمنها وآلياتها، لكنها ـ وهذا شيء أكيد ـ تلتقي معها في فضلها على من نالته ألطافها بل وعلى البشرية جمعاء.

ولأهمية هذين النوعين من محطات تحرير العبيد أردت أن أقف ويقف معي القارئ الكريم، متأملين ميزات كل تجربة، والإشكالات التي يمكن صياغتها للوصول إلى الغاية المثلى من فوائد قراءة التاريخ.

ولضيق الزمان عن النظر في إسهامات جميع أفراد البيت النبوي من الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام، اخترت تسليط الضوء على ما قام به الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام كرمز للتجربة الإسلامية، واخترت الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن لتمثيل التجارب العالمية الأخرى.

واختياري لتجربة الإمام السجاد عليه السلام بالخصوص، نابع من رغبتي في تعريف شرائح جديدة بها عبر موضوع مستقل منفصل عن الأبحاث

المعتادة في حياته وسيرته، لعلي أصل إلى مرتبة من أحيا أمر أهل البيت عليهم السلام.

أما أسباب اختياري للرئيس لنكولن فراجع إلى الشهرة التي تحققت له من خلال هذا العمل، ولقربه من عصرنا الحالي.

ولإتمام دراسة خصائص هاتين التجربتين، قمت بإنشاء مقارنة بينهما في الدوافع المؤدية إلى ذلك العمل، والطريقة المتبعة فيه، والمشمولين المباشرون المستفيدون من ذلك، والنتائج التي تحققت لهم ولغيرهم، وأخيراً عرجت على بيان الصدى الإعلامي الذي نالته كل واحدة منهن، وختمت ذلك بخلاصة موجزة يتبين فيها زبدة كل موضوع.

وبما أن التعريف بالعنوان يحتاج إلى ذكر مقدمتين: الأولى عن تاريخ الرق وأسبابه وتاريخه، والثانية عن حياة كل من المحررين بصورة موجزة، لذلك قدمتهن على فصول المقارنة وبدأت البحث بهن.

وقد عانيت في سبيل توضيح الحقائق والوصول إلى الغاية ما لا يغفل عن معرفته أهل النظر، فقد كان علي أن أحظى ـ بالإضافة إلى المصادر المطلوبة في سيرة الإمام السجاد عليه السلام ـ بمصادر عديدة عن التاريخ الأمريكي وسيرة الرئيس لنكولن حتى أستطيع النفاذ إلى مضامين إعلانه.

وقد اعتمدت بشكل كبير على الإصدارات الرسمية التي قامت بإصدارها بعناية فائقة وزارة الخارجية الأمريكية ـ مكتب الإعلام الخارجي وعبر موقعها الألكتروني في السنين المنصرمة، فتخلصت بذلك ـ إلى حد ما ـ مما يقوله خصوم الرئيس، والمترصدين لأقواله وأفعاله، وأتمنى أن أكون منصفاً فيما كتبته، ونقلته عنه خدمة للحقيقة والتاريخ.

وقبل أن أختم كلامي هذا وأترك أوراقي بين أيديكم وتحت نظركم ترجو القبول، أذكر بأمرين: أولهما أنني إنما أقارن بين تجربتين، وليس بين شخصيتين، فالبون واسع والفرق شاسع بين الإمام وبين باقي البشر.

وثانيهما أنني لا أرغب في الانتقاص من أحد بتاتا حتى وإن قمت بذكر بعض السلبيات أو النواقص التي تلمستها من خلال البحث، ويبقى حسن الظن قائما عند وجود ذلك، فإنما الهدف الأول والأخير هو التعريف بالإنجازين الكبيرين، ومحاولة الاستفادة منهما.

ودعوتي إلى جميع القراء المطالعين لأوراقي إلى الصفح عند وجود الأخطاء، وإبراز يد السماح فالعصمة لأهلها، وأشرف ما أبتغيه أن أكون في زمرة خدامهم، والمتمسكين بحبهم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

منذر كاظم آل هريبد

مدينة القاسم عليه السلام المقدسة

المقدمة الأولى

نظرة تاريخية على الرقّ

منشأ الرقّ

مع وضوح أن استعباد الإنسان لأخيه الإنسان لم ينشأ إلا بعد مرور وقت طويل على الأجيال الأولى للبشرية، إلا أن هناك اختلاف في المنشأ أو السبب الأول والأساس لبداية الاسترقاق.

فالكاتب عبد السلام الترمانيني، يفترض الحروب مورداً أولا للعبودية، حيث يقول: «وقد كانت الأسرة في بادىء الأمر تنتج لنفسها فحسب بل أخذت تنتج لغيرها، فزادت الحاجة إلى العمل وإلى تنظيمه، ووجدت دولة المدينة في الأسرى الذين يقعون في قبضتها في أعقاب الحروب التي كانت تنشب بين المدن أداة طيعة للعمل فكانت غالبا ما تكتفي بقتل الرؤساء والقواد وتسترق الآخرين، فمنهم من تستبقيه لمرافق المدينة فيكون رقيقا مملوكاً للدولة يقوم ببناء المعابد وتشييد القصور وشق الطرق وحفر الآبار والترع والعمل في المناجم والمقالع وما إلى ذلك من أعمال عامة أخرى، ومنهم من تبيعه فيشتريه أرباب الأسر للإفادة من قوته البدنية أو من مزاياه الفكرية، وهكذا أضحى الرق في المدينة نظاما قانونيا وأداة لتنمية رأس المال، وكانت الحروب بادىء الأمر عاملا على نشأته ثم أضحى عاملا على شن الحروب»[1].

---

(١) الرق ماضيه وحاضره ـ عبد السلام الترمانيني: ١٦.

بينما يجعلل. سيغال، العجز عن وفاء الدين الربوي سببا في تحول الإنسان قهراً إلى العبودية، ومنه نشأ الرق[١].

ويعلق الشيخ ناصر مكارم الشيرازي على المسألة قائلاً:

«بداية مرحلة العبودية في تاريخ الإنسانية ليس واضحا، وهذا يعني أننا لو رجعنا للوراء إلى أبعد الأزمنة الممكنة لوجدنا العبودية بأشكال مختلفة في المجتمعات البشرية ولكن وبما أن العامل الأساسي للعبودية هو الهزيمة والأسر في الحروب ـ على أقوى الاحتمالات ـ لذا أعتقد بعض المحققين أن تاريخ العبودية يعود إلى بداية الحروب بين الناس، بيد أن المؤلف يعتقد أننا لو حللنا الموضوع بصورة أوسع فسوف نجد أن السبب الأساسي له هو وجود الشخص الضعيف والقوي مع روحية السيطرة والاستغلال في آن واحد في المجتمع الإنساني، ولا نحتاج إلى إيضاح أكثر لأن هذا المعنى كان له وجود فيما بين أفراد القبيلة الواحدة إلى ما قبل الحروب القبلية»[٢].

والحقيقة أن هناك مصادر أخرى من مصادر الرق غير المصادر الأولى المذكورة، تتمثل في بيع النفس، حيث أجازت القوانين القديمة لمن افتقر أن يبيع نفسه أو يبيع ولده، فيسترقه من يشتريه[٣].

وكان هذا الفعل مألوفاً عند قدماء المصريين واليونانيين والرومان واستمر في بعض الشعوب الأوربية حتى نهاية العصور الوسطى[٤]، فقد

---

(١) ينظر لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التأريخ ـ ل. سيغال: ١٦.
(٢) الإسلام وتحرير العبيد ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٩.
(٣) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٤١.
(٤) قد اعتاد أهل التاريخ عند الإوربيين على قسمة سِني العالم إلى ثلاثة أقسام وهي: الأزمان=

ظل جاريا بيع النفس والأولاد في انكلترا حتى القرن الثاني للميلاد، وفي فرنسا حتى القرن الخامس عشر، ثم تقرر منعه[١].

كما كان شائعا عند سكان الشرق القدماء، ومنهم الصينيين، الذين يضطر فقرائهم آنذاك للتحول من الحرية إلى العبودية أو يدفعون بأبنائهم إلى هذا المصير بسبب من الفاقة والاحتياج، ويكون للمولى على رقيقه التصرف المطلق يبيعه كما اشتراه، بل ويبيع أولاده[٢].

وهناك أيضاً الاسترقاق بسبب الجريمة، فقد كان التحقير والإهانة من أسباب ذلك عند الأغريق القدامى، وكانت السرقة من أسباب الانتقال القسري إلى العبودية في روما القديمة[٣]، كما ورد في شريعة النبي يعقوب عليه السلام استرقاق السارق بحسب المعنى الذي فسرت به الآية القرآنية الكريمة: ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]، حيث يقول المفسر الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله:

=القديمة، والقرون المتوسطة، والأزمان الحديثة. وجمهورهم على أن الأزمان القديمة تبتدئ من خلق الدنيا إلى سنة ٣٩٥ ميلادية التي انقسمت فيها المملكة الرومانية إلى شرقية تختها القسطنطينية وغربية وعاصمتها روما، ويقول آخرون إنها تنتهي في سنة ٤٧٦ التي انقرضت فيها المملكة الرومانية الغربية والقرون الوسطى هي المدة التاريخية المنحصرة بين انقراض الهيئة الرومانية أي انتهاء الأزمان القديمة، وبين فتح المسلمين لمدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣م وتدميرهم المملكة الرومانية الغربية، وأما الأزمان الحديثة فتاريخها من ابتداء استيلاء السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية إلى أن وقعت الثورة الفرنساوية في سنة ١٧٨٩م، وأما تاريخ الأزمان التي بعد سنة ١٧٨٩، فقد اتفقوا على تسميته بالتاريخ العصري. «ينظر الرق في الإسلام: ٣٧ ـ ٣٨».

(١) ينظر المصدر السابق.

(٢) ينظر الرق في الإسلام ـ أحمد شفيق: ١٧.

(٣) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٤٣.

(٤) سورة يوسف: ٧٥.

«مرادهم أن جزاء السرق نفس السارق أو جزاء السارق نفسه، بمعنى إن من سرق مالاً يصير عبداً لمن سرق ماله، وهكذا كان حكمه في سنة يعقوب عليه السلام»[١].

كما إن الاسترقاق بواسطة الخطف ومن ثم البيع، من مصادر الرق المعروفة تاريخيا، وقد كان القائمون بهذه العمليات عبارة عن عصابات وقراصنة، وتسجل بعض المصادر أن اليونان والفينقيون هم أسبق الأمم إلى اتخاذ القرصنة وسيلة للحصول على الرقيق[٢].

وكيفما يكون المصدر الباعث على الرق، فإن البشرية قد عانت عبر تاريخها من هذه الظاهرة المقيتة، وتشتد المعاناة أكثر في بعض الأزمان والأماكن إلى حد أنه في بعض المدن القديمة صار عدد العبيد يفوق السكان الأحرار أضعافاً مضاعفة، فكان في أثينة ٢٦٥ ألف عبد مقابل ٩٠ ألف من الأحرار»[٣]، كما وصل عدد العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون في جزيرة ديلوس ببحر إيجة بحدود سنة ١٤٦ ق. م إلى عشرة ألاف عبد في اليوم الواحد حسب رواية المؤرخ الأغريقي سترابو[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ـ السيد الطباطبائي ١١: ٢٢٤.
(٢) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٤٤.
(٣) لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التأريخ: ١٨.
(٤) ينظر تاريخ أوربا الحديث ـ هـ. ا. ل. فشر: ٣٥٠.

الرقّ في الفلسفة والأديان

وقبل الدخول إلى نظرة الأديان إلى الرق هناك آراء صادرة من فلاسفة معروفين أو مدارس فلسفية مهمة حول شرعية أو عدم شرعية استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان، ومن أهم تلك الرؤى، ما جاءت به المدرسة الأفلاطونية[1]، حيث لم تكتف هذه بالاعتراف بشرعية الرق، بل أضافت له تقسيما عنصريا، حيث يتم تقسيم البشر بحسب تفكير هذه المدرسة إلى صنفين: يونان عاقلين وبرابرة متوحشين فكل من لم يكن يونانيا ولا يتكلم اليونانية فهر بربري متوحش، وهو وحده الجدير أن

---

(١) نسبة إلى أفلاطون، قال فيه السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق ١: شرح ٧٤: «هو الحكيم الفيلسوف المتأله أفلاطون بن أرسطن اليوناني، الذي إليه انتهت رياسة الفنون العقلية، وتلمذ لدى سقراط الحكيم، وعنه أخذ أرسطو وتشعبت تلاميذ أفلاطون على فرقتين، المشائيين والاشراقيين، قال الأشكوري في محبوب القلوب: إنه ولد في زمان أردشير بن داراً بعد ما مضت ستة عشر عاما من ملكه، فكان أبوه أشرف اليونانيين من ولد اسقيلبوس وأمه من نسل اسولون صاحب الشرايع إلى آخر ما أفاد، وبالجملة كان أفلاطون من نوابغ عصره في الحكمة وسائر العلوم العقلية، وله تصانيف كثيرة ترجمت أكثرها زمن المأمون العباسي، وأكثر تلك التراجم من آثار أحمد بن متوية، فمن تصانيف أفلاطون كتاب طيماوس الروحاني في علم النفس والعقل والربوبية وكتاب طيماوس الطبيعي في ترتيب عالم الطبيعة، وكتاب في المثل الأفلاطونية، وكتاب قاذن في النفس، وكتاب في الروح وغيرها، عاش ٨١ سنة وتوفي في السنة التي ولد فيها إسكندر الرومي، ويقال: إن قبره في بلدة مقدونية ـ ماكدونية ـ محفوظ إلى الآن سنة ١٣٧٦ والله أعلم».

يكون عبداً لليوناني، وينتهي فيلسوفها أفلاطون وينتهي أفلاطون من ذلك إلى اعتبار الحرية والرق ظاهرتين طبيعيتين ويجعل المعيار الفاصل بينهما العقل، فمن وهبته الطبيعة عقلا ممتازا كاليوناني فهو حر بطبيعته وهو الخليق وحده بأن يطاع![1]

واعتذر من إيرادي للفظ "البرابرة" مع شيوع هذا التعبير في العديد من المصادر والأحاديث العلمية، لأن البربر قومية لها احترامها، ولا تستحق هي ولا أبنائها هذا الوصف الذي الصق بها.

أما أرسطو[2] فقد ذهب مذهب أفلاطون في اعتبار الرق نظاما طبيعيا، وتابع أستاذه أيضاً في التمييز بين اليوناني وغير اليوناني، ويعزو مثله هذا التمييز إلى الطبيعة، ويلتمس له تبريراً في فلسفته، فالطبيعة عنده هي التي جعلت أجسام اليونان مغايرة لأجسام البرابرة إذ أعطت هؤلاء القوة الضرورية في الأعمال الغليظة للمجتمع فكانوا بطبعهم عبيدا لا يصلحون لغير الأمرة والطاعة، وخلقت أجسام اليونان غير صالحة لأن تحني قوامها المستقيم لتلك الأعمال الشاقة، بل وهبتهم حكمة ليكونوا

---

(١) ينظر الرق ماضيه و حاضره: ٢٠.

(٢) «أرسطو أو أرسط.طاليس نحو ٣٦٧ ـ ٣٢٢ ق. م، اشتهر بأنه حكيم اليونان. تلقى العلم عن أفلاطون، وقضى في ذلك عشرين سنة، وأصبح مؤدب الإسكندر المقدوني الأكبر. إليه يرجع الفضل في تنظيم الفلسفة اليونانية وتفريع العلوم منها وتدوين فن المنطق، وتقوم فلسفته في جملتها على "اتفاق العلل المادية في العالم الطبيعي"، من مؤلفاته: "سمع الكيان" ويتناول المبادئ في الوجود، وهو تمهيد لدراسة الفلسفة، و"السماء والعالم" و"الكون والفساد" و"الآثار العلوية" و"كتاب الحيوان" و"كتاب النبات" و"كتاب النفس" و"الحس والمحسوس" و"ما بعد الطبيعة" و"السياسة" و"الأخلاق" و"الأورغانون" في صناعة المنطق. وأرسطو هو منشئ علم المنطق حتى سموه المعلم الأول وصاحب المنطق» «موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام ـ الحاج حسين الشاكري ٩: هامش ٣٣٧».

أحراراً وأعدتهم لوظائف الحياة المدنية فحسب! تلك الحياة التي تتنازعهم فيها مشاغل الحرب والسلام»[١].

ومع ذلك الاتفاق بين آراء الأستاذ وتلميذه، فإن بينهما نقطة افتراق تتمثل في أن أرسطو كان يدعو إلى حسن معاملة السيد لعبده بحيث يتكون سلطته عليه عادلة ونافعة لأن سوء استعمال هذه السلطة يضر بالطرفين[٢].

وهناك طائفة أخرى من الفلاسفة أنكروا على افلاطون وأرسطو تمييزهم بين اليوناني وغيره، وعندهم أن جميع الناس أخوة ليس بينهم سادة ولا عبيد[٣]، ويطلق على هؤلاء الفلاسفة اسم الرواقيين[٤].

وفي أزمان لاحقة وبالتحديد في مطلع القرن الثامن عشر ظهر في أوربا فلاسفة ومفكرين يدعون إلى التحرر من الظلم والاستبداد ومناهضة الاسترقاق، كان في طليعتهم المفكر الفرنسي فولتير ومواطنه المؤرخ رينال، والاقتصادي جون ستيوارت مل، وغيرهم[٥].

أما موقف الديانات السماوية الكبرى من هذا الموضوع، فيشتمل ـ بحسب أتباعها ـ على تباين واضح، حيث ترى الديانة اليهودية ضرورة التمييز بين اليهود وغيرهم، حيث يجوز استرقاق غير اليهودي بالحرب

---

(١) الرق ماضيه وحاضره: ٢١.
(٢) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٢٢.
(٣) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٢٢ ـ ٢٣.
(٤) «ظهر هذا المذهب في أثينا بعد أرسطو سنة ٣٠٨ ق. م، وكان من تعاليمه إلغاء الفروق بين اليونان والبربر واعتناق فكرة الأخوة بين بني الإنسان على أساس المنطق العالمي» «المعجم القانوني ـ حارث سليمان الفاروقي ٢: ٦٦٤».
(٥) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ١٥٠.

أو الشراء ولا يجوز تحريره أبدا، أما اليهودي فلا يسترق ولا يباع، وإذا ما افتقر اليهودي بسبب ما وعجز عن الوفاء بديونه، واضطر حينها إلى بيع نفسه لدائنه فعلى دائنه إن كان يهوديا أن يعامله معاملة الخادم وأن يرفق به حتى يتحرر حكما بعد ست سنوات من الخدمة أو يتحرر في سنة اليوبيل إذا حلت قبل السنوات الست، ويرافق هذا التحرير تزويده بمعونة مالية من مال الدائن، وأما إذا كان الدائن غير يهودي فعلى أقاربه وعشيرته أن يفتدوه ويحرروه[١].

«وبهذا تلتقي نظرية اليهود مع فلاسفة اليونان من ناحية تقسيم الناس إلى سادة وعبيد»[٢].

أما موقف الديانة النصرانية فهي مع إقرار الرق أيضاً كاليهودية[٣].

وفي هذا الصدد يقول الدكتور جوزيف بوست، أحد رجال الجامعة الأمريكية الأولين في بيروت: «أن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسي، ولا من وجهها الاقتصادي، ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية، حتى ولا على المباحثة فيها، ولم تقل شيئا ضد حقوق أصحاب العبيد، ولا حركت العبيد إلى طلب التحرر، ولا بحثت عن مضار العبودية، ولا عن قسوتها، ولم تأمر بإطلاق العبيد أصلا، وبالإجمال لم تغير النسبة الشرعية بين الولي والعبد بشيء، بل على عكس ذلك أثبتت حقوق السادة وواجبات العبيد، وأمر بولس الرسول العبيد بإطاعة سادتهم كما يطيعون السيد المسيح،

---

(١) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ٢٩.
(٢) من فقه الجنس في قنواته المذهبية ـ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ١٨٥.
(٣) ينظر استغلال الأجير وموقف الإسلام منه ـ الشيخ الدكتور أحمد الوائلي: ٣٧.

فقال في رسالته إلى أهل إفسس: أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس، عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أو حراً، وأوصى بطرس الرسول بمثل هذه الوصية، وأوجبها آباء الكنيسة لأن الرق كفارة عن ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من غضب السيد الأعظم، وأضاف القديس الفيلسوف توماس الأكويني رأي الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين، فلم يعترض على الرق بل زكاه لأنه ـ على رأي أستاذه أرسطو ـ حال من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية، وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب»[1].

ويقول المؤرخ فشر: «والحق إنها لوصمة مروعة وتعقيب شائن على أثر الحضارة المسيحية، أن أطول حقبة عرفها التاريخ لنفاق تجارة الرقيق هي التي بدأتها دول أوربا الغربية: إسبانيا والبرتغال وفرنسا وهولندا وبريطانيا بعد أن كان قد مضى أكثر من ألف عام على توطيد دعائم المسيحية فيها، وإنها لوصمة أخطر ولطخة أدنس على المسيحية أن الاسترقاق الحديث كان أسوأ مظهراً وأقسى روحا وأعظم شقاء من الاسترقاق القديم»[2].

وعلى خلاف ذلك يبقى موقف الإسلام واضحا حيث أغلق أغلب

---

(١) مقارنة الأديان، الإسلام ـ الدكتور أحمد الشلبي: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.
(٢) تاريخ أوربا في العصر الحديث: ٣٥١ ـ ٣٥٢.

المنافذ التي تتأتى منها العبودية ولم يشرع الرق، إلا في حالة واحدة هي الحرب المشروعة مع المشركين، ومع هذه الحالة الوحيدة فإن الاسترقاق فيها ليس واجبا بل أن هناك ثلاث خيارات أما المن، أو الفداء أو الاسترقاق.

وفي هذه الخيارات الثلاثة يقول الشهيد الثاني رحمه الله:

«والمعاملة المتصورة مع هؤلاء الأسرى إحدى ثلاث لا رابع لها:

١ ـ تخلية سبيلهم، ليرجعوا إلى ما كانوا فيه من منابذة الإسلام من جديد.

٢ ـ قتلهم جميعاً، ليرتاح العالم من شر وجودهم المانع عن نشر العدالة الإنسانية.

٣ ـ إبقاءهم تحت تربية المسلمين في معاملة حسنة محدودة شرعيا، لا يتجاوزونها، معاملة عادلة يحددها الإسلام وفق روحه العادلة الرحيمة لعلهم يهتدون إلى معالم الإنسانية وينقلبون إفرادا صالحين بعد ما كانوا فاسدين. فيستفيد منهم الاجتماع الإنساني كعضو صالح فعال، بعد ما كان المجتمع البشري يخشى غيهم وفسادهم وإفسادهم. تلك طرق ثلاث لا بد من اختيار أحدها بشأن الأسرى الذين جاؤوا منابذين للعدالة، فأطاح بهم القدر في أيدي دعاة العدالة: المسلمين.

أما اختيار الطريق الأول فهو نقض للغرض. وكر على ما فر منه، حيث محارب الإسلام، يملك روحاً خبيثة، دعته إلى منابذة داعي العدالة وسحق حامل مشعل الإنسانية، فلا يستحق هكذا إنسان أن يكون مبسوط اليد يفعل ما يشاء من غي وعيث وفساد، ويعمل في ضد مصلحة

الإنسان وفي مناقضة الصالح العام...! كلا.. إنه طريق لا يستحسنه العقل الحكيم ولا يحبذه سلوك العقلاء مع الأبد. فيبقى الاختيار بين الطريقين الآخرين: القتل أو الاستعباد. ولا شك أن الثاني أرجح في نظر العقل، لأن الوجود مهما كان فهو أولى من العدم، ولا سيما إذا كان واقعا في طريق الإصلاح. فإن وجود هذا الكافر المنابذ للإسلام وإن كان فاسداً ومضراً بالعدالة الإنسانية، لكنه حينئذ مقيد بتربية إسلامية، فلا يمكنه التخلف عن تعاليم الإسلام من بعد ذلك فهو منصاع لا محالة لما يتلقاه أو يدور حوله من أوضاع صحيحة، إذ يلامس حقيقة الإسلام وحقيقة العدالة وواقع الإنسانية الفاضلة فيرغب إليها عن طيب نفس ويستسلم للدين طوع رغبته. هكذا يعمل الإسلام مع الأسرى، أي يفتح لهم مدرسة تربوية فيقلب بهم من ذوات خبيثة إلى ذوات طيبة. ومن فرد طالح ضار إلى فرد صالح نافع»[١].

وبالإضافة إلى تقنين الرق إلى أبعد المستويات، فإن الإسلام قد فتح أبوابا واسعة لتحرير العبيد، ومن هذه الأبواب الإعتاق قهراً في حالات معينة كما إذا ملك الإنسان أحد أرحامه، أو أذا تعرض للتنكيل أو التمثيل من قبل المالك أو أصبح مقعدا أو مشلولا أو غير ذلك[٢].

والباب الثاني للتحرير هو تشجيع العبد على اكتساب حريته عبر وسائل متنوعة كالمكاتبة[٣] والتدبير[٤]، وجعل مساعدة العبيد في التحرير

---

(١) شرح اللمعة ـ الشهيد الثاني ٦: ٢٢٦ ـ ٢٢٨.

(٢) ينظر استغلال الأجير وموقف الإسلام منه: ٤٥.

(٣) المكاتبة: وهي عتق العبد نفسه من سيده على مال مؤجل منه ـ أي العبد ـ، والعتق موقوف على دفع المال المتفق عليه» «المصطلحات ـ إعداد مركز المعجم الفقهي: ٢١٤٢».

(٤) جاء في منهاج الصالحين ـ السيد الخوئي ٢: ٣١٤: «التدبير: أن يقول المولى لعبده: أنت=

من موارد صرف الزكاة، وأحد سهامها الثمانية كما نصت عليه الآية الكريمة في سورة التوبة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

كما أن تحرير الرقبة هو أحدى الخيارات المنصوص عليها ككفارة لبعض الأخطاء المرتكبة من قبل المسلمين كالإفطار المتعمد في شهر رمضان.

ويبقى الباب الثالث وهو الترغيب في تحرير الرقاب وجعله من أفضل القربات إلى الله عز وجل ونظرة واحدة إلى آية البر توضح ذلك: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[2]، ومن أشهر أحاديث الترغيب في العتق قول الرسول الأعظم ﷺ: أيما رجل أعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من النار، وفي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وجهاد في سبيله. قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها[3]، وكقوله ﷺ لأعرابي جاء يسأله عن عمل يدخله

=حر بعد وفاتي، ونحو ذلك مما دل صريحا على ذلك من العبارات ويعتبر صدوره من الكامل القاصد المختار فيعتق من الثلث بعد الوفاة كالوصية وله الرجوع متى شاء، وهو متأخر عن الدين».

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) ينظر شرح رسالة الحقوق ـ السيد حسن القبانجي: ٤٥٠.

الجنة: «أعتق النسم وفك الرقبة، قال: أو ليسا واحدا؟! قال: فإن عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها...»[١].

إضافة إلى هذا فإن الإسلام يتميز عن الديانات السابقة عليه، في نظرته إلى جميع الخلق الخالية من التمايز في أصل الخلقة، فالناس في هذا سواء، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢].

وقال عز من قائل: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[٣].

ويختلف أيضاً مع من سبق ومن جاء بعده من الشعوب غير المسلمة في تعامله مع من لم يتحرر في فترة عبوديته، ففي الوقت الذي كان العبد ملكاً مطلقاً لسيده الذي كان يستطيع أن يتصرف به تصرفه بالسوائم، وكان العبيد محرومين من كل الحقوق المدنية حتى الأساسية منها وكان أسيادهم يستطيعون قتلهم دون أن ينالهم أي عقاب[٤]، فإن الإسلام وعلى لسان الرسول الأعظم محمد ﷺ يشدد على حقوق العبيد ويأمر بالإحسان إليهم، وضمان حقوقهم الأساسية، ومن الأحاديث الدالة على ذلك قوله ﷺ: «فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليكسه مما

---

(١) المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ٢: ٢١٧.
(٢) سورة الحجرات: ١٣.
(٣) سورة الطارق: ٥ ـ ٧.
(٤) لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التأريخ ـ ل. سيغال: ١٩.

يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»[١]، وقال أيضاً: «الإحسان إلى المملوك يكسب العز»[٢].

وورد عن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله لخادمه قنبر: «وأنا استحي من ربي أن أتفضل عليك سمعت رسول الله يقول ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون»[٣].

ويشهد بسماحة الإسلام في هذا الجانب الإنساني العديد من المفكرين الغربيين، حيث يقول ول ديورانت: «عمل الإسلام على تضييق دائرة الاسترقاق وتحسين حال الأرقاء المشروع على من يؤسرون في الحرب من غير المسلمين وعلى أبناء الأرقاء أنفسهم، أما المسلم فلا يجوز أن يسترق كما كان ذلك في الدين المسيحي»[٤].

و يقول أيضاً فان دنبرغ: «وضع الإسلام قواعد كثيرة للرقيق تدل على ما كان ينطوي عليه محمد وأتباعه نحوهم من الشعور الإنساني النبيل. ففيها تجد من محامد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التي تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعي أنها تمشي في طليعة الحضارة»[٥].

وهناك إشكال أخير وقديم يتعلق بملك اليمين، وهن الجواري اللواتي سمح الإسلام لمالكيهن بالتسري منهن، وقد عد أعداء الإسلام

---

(١) مسند أحمد ـ الإمام أحمد بن حنبل ٥: ١٦١.
(٢) مشكاة الأنوار ـ علي الطبرسي: ٣١٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهراشوب ١: ٣٦٦.
(٤) الرق ماضيه وحاضره: ٣٣.
(٥) شرح رسالة الحقوق: ٤٥٠ ـ ٤٥١.

هذا الأمر من أمثلة الظلم والاستغلال الجنسي الواقعة في التاريخ الإسلامي.

والإنصاف إن هذا باب آخر من أبواب التحرير، توفر للنساء زيادة على ما للرجال، حيث إن الجارية التي تحمل من هذا الطريق المشروع، تصبح ملكيتها متزلزلة بحسب ما يعبر الفقهاء، ومعنى ذلك أنه لا يحق لمالكها بيعها أو نقلها بأي ناقل آخر سوى العتق، وإذا مات السيد أعتقت من نصيب ولدها[1].

ولو نظرنا إلى المعاملة الحسنة التي تمتعت بها الجواري في الإسلام، لبطل الإشكال من تلقاء نفسه، ويكفي دليلا على ذلك أن أمهات أغلب الأئمة الطاهرين من أهل بيت النبوة عليهم السلام وهم أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كن من الإماء ومن أعراق مختلفة.

والظاهر أن الراسخ في أذهان بعض الغربيين من الصورة السيئة للمعاملة الإسلامية للمرأة قادم من تصرفات بعض الحكام والملوك المحسوبين على الإسلام ظلما، والإسلام منهم براء كالعباسيين والعثمانيين ومن دأب دأبهم.

وعلينا أن لا نحمل الإسلام وزر من أساء التصرف من هؤلاء.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر استغلال الأجير وموقف الإسلام منه ـ الشيخ الدكتور أحمد الوائلي: ٤١.

تجارب عالمية في التحرير

بالإضافة إلى التجربة الإسلامية في تحرير العبيد التي تمثلها تصرفات الرسول الأعظم ﷺ وعترته الطاهرة، والتجربة الأمريكية بقيادة الرئيس ابراهام لنكولن في القرن التاسع عشر الميلادي، فإن هناك تجارب عالمية أخرى بين هاتين التجربتين أو بعدهما، ومن أشهر تلك التجارب، ما جاءت به الثورة الفرنسية من تحرير، حيث أعلن بعد قيام الثورة بعامين وبالتحديد في عام ١٧٩١ عن إلغاء الرق، وإن جميع الأفراد المقيمين في المستعمرات الفرنسية على اختلاف ألوانهم وأعراقهم مواطنون فرنسيون[١].

وهناك أيضاً التجربة البريطانية، حينما قررت إلغاء الرق في مستعمراتها في عام ١٨٣٣ بعد أن سبق ذلك بمرحلتين: الأولى إلغاء نظام الاسترقاق في الجزر البريطانية سنة ١٧٧٢ والثانية تحريم تجارة الرقيق فيها سنة ١٨٠٧[٢]، وتبعتها في ذلك دول أوربية أخرى كالسويد عام ١٨٤٧[٣].

ولا ننسى التجربة الرائدة التي جرت في إحدى البلدان العربية التي

---

(١) ينظر الرق ماضي حاضره ـ عبد السلام الترمانيني: ١٥٠.
(٢) ينظر تاريخ أوربا في العصر الحديث: ٣٥٣.
(٣) ينظر تاريخ أوربا الحديث ـ جفري برون: ١٥٨ ـ ١٥٩.

كانت مبتلاة بهذا الداء الوبيل وهي تونس، حيث تم إلغاء الرق فيها عام ١٨٤١[١].

أما روسيا فقد ألغت الاسترقاق في بلادها عام ١٨٦١[٢].

وهناك تجارب في تحرير العبيد في عدد من الولايات المتحدة الأمريكية سبقت إعلان الرئيس لنكولن بسنين طويلة، حيث ألغى دستور ولاية ماساتشوستس الرقيق عام ١٧٨٠ وحرر دستور ولاية نيويورك العبيد عام ١٧٩٩، وعملت ولاية بنسلفانيا على تحرير العبيد بشكل تدريجي ومنع إدخال العبيد إلى الولايات الجديدة مثل ولايات وسكانسن وميتشيغان والينوي وأنديانا وأوهايو[٣].

كما إن حكومة الولايات المتحدة، قد قامت بمنع تجارة الرقيق الخارجية أي منع استيراده في عام ١٨٠٧[٤].

---

(١) ينظر مثلاً موقع دروب الإلكتروني http: //www.doroob.com/archives/?p=47539

(٢) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ ـ د. محمد محمود النيرب: ٢٤٧.

(٣) ينظر تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ـ د. عبد الفتاح حسن أبو علية: ١٤٠.

(٤) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٢٣.

أشكال العبودية

من ملاحظة تاريخ الاستعباد يمكن فرز ثلاثة أشكال من العبودية بحسب مراحلها الزمنية، فالعبودية قديما لم تختص بلون أو عرق، أنما هو استرقاق للأعداء أو للغير بصورة رئيسية دون أن يلاحظ فيها أمر آخر.

بينما يطغى ما يسمى بالرقيق الأسود في القرون الوسطى، نتيجة التوجه نحو جلب الناس من مواطني قارة أفريقيا بكثرة واسترقاقهم وتسخيرهم للعمل في المزارع والمصانع.

ومن الأمثلة الواضحة لذلك ما جرى في الولايات المتحدة الأمريكية التي فشلت في استعباد السكان الأصليين ـ الهنود الحمر ـ وتسخيرهم في تلبية حاجات المهاجرين القادمين من أوربا إلى اليد العاملة فاستعاضوا عن ذلك بالأفارقة الذين تعرضوا لأبشع صور الاستغلال الجسدي والديني والنفسي.

أما في التاريخ المعاصر فيلاحظ طغيان ما يسمى بالرقيق الأبيض، حيث برز هذا الشكل من الاتجار بالبشر في دول العالم، ولازال بعض الناس في أماكن مختلفة من العالم المتحضر يتعرضون لهذا النوع من الاضطهاد مع وجود القوانين الصارمة، وقد استبدلت هذه التسمية مؤخراً

بتسمية أخرى هي الاسترقاق الجنسي لتدل على حقيقته من جهة، ولأنه توسع ليشمل غير البيض من جهة أخرى[١].

وما دمنا نتحدث عن الزمن المعاصر فعلينا أن نشير إلى التحول الذي أصاب العبودية السابقة، حيث تم الانتقال في عهد الاستعمار إلى لون جديد يتمثل في استعباد الشعوب بدلا عن استعباد الأفراد وهو شكل أخطر بكثير من الأشكال السابقة، ويتم بطرق متنوعة لا حصر لها.

ومع التشدق باحترام حقوق الإنسان عند الدول التي تتسلم قيادة العالم في وقتنا الحالي فإنه لا يمكن لمنصف متطلع منهم أن يدعى خلو زماننا هذا من أشكال الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على مقدرات الدول، وخصوصا دول ما يسمى بالعالم الثالث.

ونستشهد في هذا الصدد بقول آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

«إن العبودية واستغلال البشر ـ مع كامل الأسف ـ عادت بصورة أخطر وأكثر رعبا مما كانت عليه، وذلك على صورة "عبودية المستعمرات والشعوب" أو ما اصطلحوا عليه بالاستعمار، ومع أن تأريخه يعود إلى ما قبل تاريخ إلغاء العبودية ولكننا نستطيع القول أن كل قدرة العبودية الفردية سائرة نحو الضعف والاضمحلال، بعكس العبودية الجماعية والاستعمار الذي بدأت جذوره تقوى وتصلب أكثر وأكثر»[٢].

ويقول أيضاً:

«وينبغي الالتفات هنا إلى أن الدول السباقة في موضوع إلغاء العبودية كبريطانيا كانت في المقدمة أيضاً في موضوع الاستعمار للأقاليم

---

(١) ينظر الرق ماضيه وحاضره ـ عبد السلام الترمانيني: ١٩٩.

(٢) الإسلام وتحرير العبيد ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٠ ـ ١١.

المعمورة ذات الخيرات الكثيرة كإقليم الهند الذي كان تحت سيطرتها، وكأن أداء واجب العبودية الاستعمارية مفروضا على الكثير من الشعوب الكبيرة العاملة على تأمين احتياجاتها!!»[1].

(١) ينظر المصدر السابق: ١١.

المقدمة الثانية

تعريف بالمحررين

الإمام السجاد عليه السلام

هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، رابع الأئمة الهداة المهديين من أهل بيت النبوة[1].

ولد الإمام في اليوم الخامس من شعبان سنة ٣٨هـ على أشهر الأقوال[2]، ومع هذه الشهرة فإن هناك آراء أخرى في يوم الولادة المبارك[3]، وهو شيء متعارف عليه بين مؤرخي سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

والده هو الإمام أبو عبدالله الحسين بن أمير المؤمنين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة المقتول في كربلاء في واقعة الطف سنة ٦١هـ.

والدته هي السيدة الجليلة شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار[4]، ولها

---

(١) عدد الأئمة أو الخلفاء الذين نص عليهم الرسول محمد صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماما أو خليفة، وهذا المعنى موجود عند السنة والشيعة على حد سواء، والفرق أنه عند الشيعة فكل الأئمة مصرح بأسمائهم، بينما لم يستطع أهل السنة من الاتفاق على الاثني عشر خليفة.

(٢) ينظر شرح إحقاق الحق ـ السيد المرعشي ١٢ : ٨.

(٣) ذكر السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ٣٦، ثمانية أقوال في يوم ولادة الإمام عليه السلام هي الخامس والثامن والتاسع والسابع من شهر شعبان والحادي عشر من رجب وثامن ربيع الأول والنصف من جمادي الأول والنصف من جمادي الثاني.

(٤) ينظر الإرشاد ـ الشيخ المفيد ٢ : ١٣٧.

اسم آخر هو شهربانويه[١]، وهي من بنات ملوك الفرس كما يظهر من نسبها وروايات قدومها إلى الديار الإسلامية.

وهناك روايات مختلفة عن كيفية وصولها إلى الإمام الحسين عليه السلام والزمان الذي أقترنت به بالسبط الأصغر لرسول الله صلى الله عليه وآله، فبعض المرويات تتحدث عن كونها واختها من السبايا التي جيء بها إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في حكم عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان، وتم تخييرهن فيمن يملكهن، فاختارت هي سيد الشهداء عليه السلام[٢].

وهناك من المرويات من لم يذكر السبي صراحة، حيث جاء في الارشاد للشيخ المفيد رحمه الله: «وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولي حريث بن جابر الحنفي جانبا من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد ابن أبي بكر، فهما ابنا خالة»[٣].

عموما فإن الإمام علي بن الحسين عليه السلام لم يحظ كثيراً برفقة والدته وحنانها، حيث توفيت في نفاسها به[٤].

للإمام ألقاب عديدة ذات مضامين عالية تنبىء عن عظيم خصاله ورفعة منزلته، فقد اشتهر بلقب "السجاد" لإكثاره من السجود لله سبحانه وتعالى، يقول ولده الإمام الباقر عليه السلام: «إن أبي عليه السلام ما ذكر لله نعمة إلا

---

(١) ينظر كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق: ٣٧٠.
(٢) ينظر حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ـ السيد عبد الرزاق المقرم: ٢٤ ـ ٢٩.
(٣) الإرشاد ـ الشيخ المفيد ٢: ١٣٧.
(٤) ينظر موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ـ الشيخ هادي النجفي ٨: ٣٨٤.

سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجدة إلا سجد... إلى أن قال: فسمي السجاد لذلك»[١].

ومن ألقابه أيضاً المتصل بكثرة عبادته وطاعته "ذو الثفنات" وفيه يقول الشاعر:

أناس علي الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذو الثفنات[٢]

ومن أشهر القابه أيضاً "سيد العابدين" الذي جاء في حديث الخلفاء الاثني عشر الذين اختارهم الله عز شأنه للإمامة الكبرى: «... ثم سيد العابدين علي بن الحسين، ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم ابنه...»[٣].

كما لقبه الخالق المصور أيضاً بزين العابدين، وأظهر هذا اللقب للناس على لسان نبيه العظيم في قوله ﷺ:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين زين العابدين؟ وكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو في الصفوف»[٤].

والطريف أن بعض الكتاب، ينسب هذه المنقبة أي تسمية الله للإمام السجاد عليه السلام بلقب زين العابدين إلى الشيطان، في حكاية عجيبة مفادها:

«أنه كان ليلة في محرابه قائما في تهجده، فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاءه إلى إبهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه فألمه فلم يقطع صلاته، فلما فرغ منها وقد كشف

---

(١) غنائم الأيام ـ الميرزا القمي ٢: ٥١٨.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ١٧: ٢٧٢.
(٣) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ٢٥: ٧.
(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠٤.

الله تعالى له فعلم أنه شيطان فسبه ولطمه وقال: "إخس يا ملعون"، فذهب وقام إلى إتمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله وهو يقول له: أنت زين العابدين ثلاثا. فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقبا له»[١].

وقد لقب الإمام أيضاً بعلي الأصغر، لكونه أصغر من أخيه علي الأكبر الشهيد بكربلاء، وقد صرح الإمام بذلك في قوله للطاغية يزيد: «قد كان لي أخ أكبر يسمى عليا فقتلتموه»[٢].

نشأ الإمام زين العابدين عليه السلام في كنف جده أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته، وبعد استشهاده على يد أشقى الآخرين اللعين ابن ملجم سنة ٤٠هـ، بقي ينهل من معين سيدي شباب أهل الجنة، عمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ووالده الإمام الحسين عليه السلام، وشاهد الخطوب التي جرت في تلك الفترة وتسلط بني أمية على مقاليد الحكومة الظاهرية بدءا بعصر معاوية بن أبي سفيان الذي دس السم للإمام الحسن عليه السلام سنة ٥٠هـ[٣]، وليس انتهاء بيزيد بن معاوية الذي افتتح خكومته بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والسبط الأصغر في واقعة كربلاء سنة ٦١هـ، التي نجا فيها الإمام السجاد عليه السلام من القتل بإرادة ربانية نتيجة مرضه، لكنه شاهد ما جرى من مآس على أهل بيته والأصحاب أثناء وبعد المعركة.

وبعد انقضاء دولة الفرع السفياني بموت يزيد سنة ٦٣هـ وتنازل ابنه معاوية الثاني عن الحكم، يأتي دور مروان وبنيه في حكم الدولة الإسلامية، وهم أبعد الناس عن مبادئها وقيمها.

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله ـ محمد بن طلحة الشافعي: ٤٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين ـ أبو الفرج الأصفهاني: ٨٠.

(٣) ينظر مثلا، تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحاكمة النصوص ـ منذر كاظم آل هريبد: ٢٥٠ ـ ٢٥٥.

وقد عاصر الإمام عليه السلام حكم مروان وابنه عبد الملك والخفيده الوليد بن عبد الملك حيث توفي الإمام زين العابدين عليه السلام مسموماً في حكم الوليد في الخامس والعشرين من شهر محرم سنة ٩٤هـ أو ٩٥هـ على اختلاف الروايات(١).

وقد كان تعامل الإمام عليه السلام مع أولئك الحكام نابعا من سياسته الحكيمة في التعامل مع مختلف الظروف والصعوبات المحيطة بما يمثل النهج الإسلامي الحقيقي في ذلك، ومن صور تعامله المذكورة في كتب التاريخ، ما حكي أن عبد الملك طلب منه أن يفد اليه ويجلس في مجلسه فرفض، والقصة تروى كالآتي:

«كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت، وعلي بن الحسين يطوف بين يديه، لا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟! فقيل: هذا علي بن الحسين! فجلس مكانه، وقال: ردوه إلي. فردوه، فقال له: يا علي بن الحسين إني لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إلي! فقال علي بن الحسين عليه السلام: إن قاتل أبي أفسد ـ بما فعله ـ دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو، فكن!!

فقال: كلا، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين وبسط رداءه، فقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك، فإذا رداءه مملوء دررا، يكاد شعاعها يخطف الابصار. فقال له: من تكون هذه حرمته عند الله يحتاج إلى دنياك؟! ثم قال: اللهم خذها، فلا حاجة لي فيها»(٢).

---

(١) ينظر العدد القوية ـ علي بن يوسف الحلي: ٣١٥.

(٢) الخرائج والجرائح ـ قطب الدين الراوندي ١: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

بل إن صلابته العالية في وجه الطاغية الملعون يزيد بن معاوية وهو في دار حكمه بعد واقعة كربلاء، أذهبت كل فرحته بالإنتصار العسكري الذي تحقق له على سبط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، حيث سدد له في خطبته الرائعة ذات المضامين العالية في ذلك المجلس ضربات هائلة جعلت الكثير من أهل الشام الحاضرين آنذاك والمتربين على النهج الأموي منذ زمن بعيد[1]، يدركون البون الواسع بين ما كانوا عليه وبين الحق الذي نطقت به خطبة الإمام عليه السلام، ولروعتها ننقل بعض فقراتها:

حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام معرفاً بنفسه ومبينا المنزلة التي يحظى بها أهل البيت عليهم السلام:

«أيها الناس أعطينا ستا وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمداً، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة.

من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من

---

(١) يبدأ حكم بني أمية للشام منذ أوائل حكومة عمر، حيث تولى يزيد بن أبي سفيان ولاية الشام ثم تولاها من بعده أخوه معاوية واستمر في حكمها حتى موته «ينظر البداية والنهاية ـ ابن كثير ٨: ٢٣».

صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه سمح، سخي، بهي، بهلول، زكي، أبطحي، رضي، مقدام، همام صابر، صوام، مهذب، قوام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة، وقربت الأعنة، طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكي مدني خيفي عقبي بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين: الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب....»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٨ ـ ١٣٩.

وقد دفعت هذه العظمة يزيد إلى الاعتذار من الإمام عليه السلام، وإطلاق سراح العائلة النبوية المسبية!! وبقي يحسب له حسابا خاصا كما يظهر من وصيته إلى قائد جيشه لحرب المدينة المنورة مسلم بن عقبة والمعروف بمسرف[1]، بأن لا يتعرض للإمام عليه السلام وبيته[2]، إلى حد أن العدو اللدود للعلويين مروان بن الحكم احتمى بالإمام عليه السلام وأودع نسائه وحريمه عنده.

ولا يمكن للباحث المنصف أن لا يلحظ تأثير الإمام السجاد عليه السلام في الثورات الكثيرة التي حدثت في عصره ضد حكام بني أمية، وبالخصوص ثوارت الشيعة في العراق كثورة التوابين وقيام المختار بأخذ الثار، واستمرار ذلك النهج الثوري في عصر الأئمة من أولاده عليهم السلام حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ.

هذه بعض المواقف التي جرت للإمام عليه السلام مع الحكام، وهي تؤشر بعض ملامح النهج السياسي الذي كان يتبعه عليه السلام، والغريب مع هذا أن الاعتقاد الشائع عند بعض الناس ممن لم يفهموا معنى الإمامة الإلهية، أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن من ممارسي السياسة، وجل انشغاله هو العبادة وإداء القربات!

مع إن واجبات الإمام تجاه رعيته لا تتوقف عند حد، حتى وإن لم تصل اليه مقاليد الحكومة الظاهرية.

وقد يكون للظرف الذي عاشه الإمام عليه السلام المتمثل بقلة الأتباع المخلصين في المدينة المنورة التي كان يسكنها دوراً في دفع الإمام عليه السلام

---

(١) ينظر عمدة القاري ـ العيني ١٤: ٤٢٢.

(٢) ينظر الإرشاد ٢: ١٥٢.

وتوجيه جل اهتمامه إلى توسيع القاعدة وتطويرها، والتعريف بمظلومية أهل البيت عليهم السلام.

ومع وجود الحكام الجائرين فإن ابتعاد الإمام عليه السلام عن دوائرهم يمثل رفضا وادانة لتلك الأنظمة خصوصا وهو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن سيد شباب أهل الجنة عليه السلام والحاوي للخصال العظيمة ومكارم الأخلاق.

وكانت له في هذا الجانب ممارسات عملية ناسبت ظروفه وظرف المجتمع ومنها اشتهاره بكثرة البكاء على أبيه سيد الشهداء عليه السلام حتى عد خامس البكائين[1]، وتحدث الأخبار أنه كان يبكي كلما قدم له طعام، حتى قال له مولى له: «إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة * إلا خنقتني لذلك عبرة»[2].

ومعلوم ما لهذه الممارسة المستمرة من تأثير إيجابي في تهييج عواطف الناس، ضد الظالمين وتوجيهها نحو ملاحظة عظم الجريمة التي ارتكبت بحق الإمام الحسين وصحبه الكرام عليهم السلام، ولم يقتصر في ذلك على نفسه، بل بين ثواب من يبكي من المؤمنين على أبي الأحرار عليه السلام حيث يقول في الحديث المروي عنه عليه السلام:

«أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة، حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعا حتى تسيل على خده لأذى مسنا من عدونا في الدنيا، بوأه الله

---

(١) في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين» «الإمالي ـ الشيخ الصدوق: ٢٠٤».

(٢) كشف الغمة ـ ابن أبي الفتح الأربلي ٢: ١٢١.

مبوأ صدق في الجنة، وأيما مؤمن مسه أذى فينا، فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خديه من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[1].

والعصور المتلاحقة التي شهدت بقاء القضية الحسينية غضة طرية دليل على نجاح هذا المنهاج الفريد للإمام السجاد عليه السلام.

ومن الممارسات الأخرى التي تعد بمثابة الأسلحة بيد الإمام عليه السلام في جانب السياسة وفي جانب إحداث التغيير الإيجابي في المجتمع، سلاح التوجه إلى الله تعالى شأنه بالدعاء والمناجاة، والمطالع للصحيفة السجادية التي حوت قبسا من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، وكلماته في مناجاة خالقه الكريم لا بد له من التأثر بذلك، وقد استحقت أن تسمى عند العلماء بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله[2].

ومن أمثلة ذلك دعاؤه في يوم الجمعة والأضحى:

«...اللهم ان هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع امنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها، وأنت المقدر لذلك لا يغالب أمرك ولا يجاوز المختوم من تدبيرك كيف شئت وانى شئت ولما أنت اعلم به غير متهم على خلقك ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين يرون حكمك مبدلا وكتابك منبوذا

---

(١) مكيال المكارم ـ ميرزا محمد تقي الأصفهاني ٢: ١٥٩.

(٢) يروي آية الله الشيخ جعفر السبحاني في كتابه الأئمة الإثني عشر: ٩٦ في شأن الصحيفة السجادية: «وقد أرسل أحد الأعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة إلى العلامة الشيخ الطنطاوي المتوفى عام ١٣٥٨ هجري صاحب التفسير المعروف، فكتب في جواب رسالته: ومن الشقاء إنا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيم الخالد في مواريث النبوة وأهل البيت، وإني كلما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق».

وفرائضك محرفة عن جهات أشراعك وسنن نبيك متروكة اللهم العن أعدائهم من الأولين والآخرين ومن رضى بفعالهم وأشياعهم واتباعهم...»[١].

ومن لطائف الأدعية التي ينقطع فيها عليه السلام الى بارئه وخالقه والمنعم عليه:

«يا من فضل إنعامه إنعام المنعمين، وعجز عن شكره شكر الشاكرين، وقد جربت غيرك من المأمولين لغيري من السائلين فإذا كل قاصد لغيرك مردود، وكل طريق إلى سواك مسدود، وكل خير عندك موجود، وكل خير عند سواك مفقود. يا من إليه به توسلت، وإليه به تسببت وتوصلت، وعليه في السراء والضراء عولت وتوكلت، ما كنت عبدا لغيرك فيكون غيرك لي مولى، ولا كنت مرزوقا من سواك فأستديمه عادة الحسنى، وما قصدت بابا إلا بابك فلا تطردني من بابك الأدنى يا قديراً لا تؤده المطالب، ويا مولى يبغيه كل راغب. حاجاتي مصروفة إليك، وآمالي موقوفة لديك، كلما وفقتني له من خير أحمله وأطيقه فأنت دليلي عليه وطريقه. يا من جعل الصبر عونا على بلائه، وجعل الشكر مادة لنعمائه، قد جلت نعمتك عن شكري، فتفضل على إقراري بعجزي بعفو أنت أقدر عليه وأوسع له مني، وإن لم يكن لذنبي عندك عذر تقبله فاجعله ذنبا تغفره، وصل اللهم على جدي محمد رسولك وآله الطيبين»[٢].

---

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام ـ السيد علي خان المدني الشيرازي ٧: ١٦٥.

(٢) الصحيفة السجادية «ابطحي» ـ الإمام زين العابدين عليه السلام: ١٨٦ ـ ١٨٧.

وهذ البلاغة الرائعة عند الإمام السجاد عليه السلام لاتتوقف عند حد، فهو الخطيب البارع وهو المجيب المحسن، تتفجر الحكمة من بين شفتيه، وحتى لا تخلو صفحات كتابنا، وأعمالنا ـ إن شاء الله ـ من روائع حكمه القصار ننقل بعض ما جمعه الشيخ جعفر عباس الحائري:

* ما دخل قلب إمرىء شئ من الكبر، إلا نقص من عقله مثل ما دخله.
* ليس شئ في الدنيا أعون من الإحسان إلى الإخوان.
* اعرف المودة في قلب أخيك، بما له في قلبك.
* من رضى بالقليل من الرزق، رضى الله منه بالقليل من العمل.
* جيران الله الذين يتزاورون في الله، ويتجالسون في الله، ويبذلون ما لهم في الله تعالى.
* إياكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين.
* الرزق الحلال قوت المصطفين.
* للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشتري ما ليس له.
* من عبدالله فوق عبادته، أتاه الله فوق كفايته وأمانيه.
* إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه، فإن العفو عن قدرة فضل من الكرم.
* العفو زكاة الظفر، وأولى الناس بالعفو، أقدرهم للعقوبة.
* إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله.
* الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والغنى في القناعة.
* من مأمنه يؤتى الحذر.

* الحسود لا ينال شرفا، والحقود يموت كمدا، واللئيم يأكل ماله الأعداء، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.
* يكتفي اللبيب بوحي الحديث، وينبو البيان عن قلب الجاهل، ولا ينتفع بالقول وإن كان بليغا، مع سوء الاستماع، وحسن المنطق.
* أسعد الناس من جمع إلى حزمه عزما في طاعة الله.

ولئن كان الدور الذي مر به الإمام زين العابدين عليه السلام عند توليه الإمامة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام من أصعب الأدوار التي مر بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإن الصبر العالي والتخطيط السليم بالإضافة إلى التوفيق الإلهي، قد أنجحوا رسالته السامية في نشر تعاليم الإسلام الحقة وإيصالها إلى الأجيال الجديدة.

وقبل أن يلتحق بركب آبائه وأجداده عليهم السلام سادة أهل الجنة شهيدا مسموما على يد طاغية عصره، أكد الوصايا السابقة في خليفته الإمام الباقر عليه السلام بوصيته وهو على فراش الموت، للكثيرين من عواده وسائليه، كجابر الأنصاري رحمه الله والزهري وأبي خالد الكابلي رحمه الله وغيرهم.

ومن حديث أبي خالد وسؤاله للإمام عليه السلام: «... قلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا تخلو الأرض من حجة الله على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد، واسمه في التوراة باقر يبقر العلم بقرا، هو الحجة والإمام بعدي ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق...»[1].

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

---

(١) في رحاب العقيدة ـ السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم ٣: ٢٧٥.

الرئيس لنكولن

ولد الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الامريكية[١] ابراهام لنكولن في الثاني عشر من شهر شباط / فبراير عام ١٨٠٩[٢]، في كوخ صغير مبني من جذوع الأشجار لأبوين متواضعين هما توم ونانسي هانكس لم ينالا حظهما من التعليم[٣]، ونشأ في مستوطنة بين الغابات في منطقة تكاد تكون برّية[٤]، في كنتاكي التي تقع جنوب لويزفيل وتبعد عنها مائة كيلومتر[٥].

وهناك ورغم صغر سنه وكونه في السنة السابعة من عمره، فقد مارس أعمالا شاقة وساعد والده في استصلاح أرض وجعلها مزرعة باقتلاع العديد من الأشجار التي كانت على سطحها[٦].

---

(١) كان الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية جورج واشنطن، الذي بدأ رئاسته في عام ١٧٨٩ «ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٤١».

(٢) ينظر يوم الرؤساء ـ وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي: ٢.

(٣) ينظر ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض ـ سترلنج نورث: ٧.

(٤) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية ـ وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي: ٥.

(٥) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم ـ اودو زاوتر: ١١٦.

(٦) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٥.

ولما بلغ التاسعة من عمره توفيت والدته[١]، فتزوج والده بعد عام من أرملة لها ثلاثة أولاد اسمها سارة بوش جونستون، سرعان ما أحاطته بحبها وتشجيعها، فكانت أمه الجديدة بعد أمه[٢].

وبسبب ظروف عائلته المشارفة على الفقر، لم يحصل ابراهام لينكولن على المقدار الكافي من التعليم المدرسي حيث بلغ مجموع ما تلقاه من حصص دراسية بين الحين والآخر ما يعادل الذي يتلقاه التلميذ خلال سنة واحدة فقط[٣].

لكن العزيمة والأصرار الذي تحلى بهما، بالإضافة إلى ولعه الشديد بالعلوم دفعوا به إلى تعويض ذلك عبر المطالعة المستمرة واغتنام كل الوقت المتبقي من عمله في المزرعة والغابة في التعمق بالكتب التي تقع بين يديه.

وفي هذا يقول معاصره وقريبه دنيس هانكس: «إنه لا يذكر أنه رأى أبراهام لنكولن بعد بلوغه الثانية عشرة من عمره إلا ومعه كتاب، وحين كان يذهب لفلاحة الأرض كان يضع الكتاب داخل قميصه، وفي وقت راحته عند الظهر كان يضطجع في ظل شجرة يقرأ ويأكل ثم يختار مكانا مريحا في الكوخ ليقرأ فيه عند عودته ليلا من الحقل، والعادتان اللتان لم تفارقا ابراهام لنكولن طوال حياته كانتا القراءة وطريقة تمدده أثناء القراءة»[٤].

---

(١) رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٧.
(٢) ينظر ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: ٢٨.
(٣) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٧.
(٤) ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: ٣٩.

وفي عام ١٨٣١ بدأ لينكولن القوي البنية يشق طريقه بنفسه محاولا اكتساب رزقه عبر تأسيس دكان صغير، لكنه لم ينجح، وحاول أيضاً عبر امتلاكه ولعدة سنوات مركزا للبريد في منطقة صغيرة مقفرة، لكن النجاح لم يكن حليفه في هذا المشروع أيضاً[١].

ولم تنل هذه النتائج من روه حيث يسجل لنكولن بفخر حينما أصبح الرئيس السادس للولايات المتحدة الامريكية احدى تجاربه الحياتية على الصعيد المهني، حين يقول: «إني لا أخجل من الاعتراف بأني قبل ٢٥ سنة كنت عاملاً أجيراً أقطع الخشب لخط سكة الحديد، وأعمل على ظهر مركب مسطح»[٢].

أما حياته السياسية فتبدأ عندما رشح نفسه لانتخابات عام ١٨٣٢[٣]، قبل أن ينقضي العام الأول على وجوده في مدينة نيو سالم[٤] حيث أعلن لنكولن نفسه مرشحا لعضوية مجلس الولاية التشريعي الا أن محاولته الأولى باءت بالفشل[٥]، وقد وصفها فيما بعد بأنها: «المرة الوحيدة التي هزمني فيها الشعب»[٦].

«ثم أعاد الكرة في العام ١٨٣٤، وانتخب نائبا في مجلس ولاية ايلينويس عن حزب الويغ الذي تشكل حديثا، وشارك في المجلس حتى عام ١٨٤٢»[٧].

---

(١) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٧.
(٢) أحرار في النهاية: ١٨.
(٣) ينظر ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الابيض: ٧٩.
(٤) ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٨.
(٥) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٧.
(٦) ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٨
(٧) رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٨.

وخلال تلك السنوات طرأت بعض التغييرات على حياة لينكولن، إذ إنه حصل عام ١٨٣٦ على إذن بمزاولة مهنة المحاماة، بعد مطالعته باجتهاد لكتب قانونية، ثم انتقل في العام التالي إلى مدينة سبرينغ فيلد حيث افتتح مع أحد زملائه مكتبا للمحاماة، والحدث الآخر في حياته الشخصية كان زواجه عام ١٨٤٢ من ماري تود التي كانت تصغره بعشر سنوات[١].

وكانت ثمرة هذا الزواج أربعة أطفال هم روبرت تود لنكولن، وإدوارد باركر، وويليام والاس، وتوماس، لكن واحدا فقط من أولئك الأبناء الأربعة هو الذي طال به العمر حتى وصل إلى سن الرجولة هو روبرت تود[٢].

رشح لينكولن نفسه نائبا لمقعد في مجلس النواب الامريكي، ابتداء من العام ١٨٤٢ ولكنه لم يوفق في ذلك مرتين، حتى وصل أخيراً إلى العاصمة واشنطن في عام ١٨٤٧[٣].

وبحلول عام ١٨٥٦ انفصل لينكولن عن الويغيين لينضم إلى الحزب الجمهوري بعد مضي عامين على تأسيسه[٤].

وفي عام ١٨٥٨ ترشح لينكولن لمقعد في مجلس الشيوخ الأمريكي[٥] عن ولاية ايلينويس، وكان منافسه في ذلك السيناتور

---

(١) ينظر المصدر السابق.
(٢) ينظر ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: ١١٤.
(٣) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٩.
(٤) ينظر الحلم والتاريخ ـ كلود جوليان: ٢٦٤.
(٥) يتألف الكونغرس في الولايات المتحدة من مجلس للشيوخ ومجلس للنواب. «ينظر حول أميركا ـ وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي: ٢٣».

الديمقراطي ستيفن أ. دوغلاس صاحب مبادرة قانون كنساس ـ نبراسكا، الذي ترك خيار القبول بالرق أو عدمه في هاتين الولايتين لسكانهما[١]، وجرت بينهما سبع مناظرات أمام الرأي العام، تناقش الاثنان فيها حول شرعية العبودية، وكانت النتيجة خسارة ابراهام لينكولن للانتخابات، إلا أنه حصل على شهرة كبيرة في شتى أنحاء البلاد، بوصفه من أبرز دعاة تحرير العبيد[٢].

تلك الشهرة جعلت الحزب الجمهوري في العام ١٨٦٠ يقدم على تسمية لينكولن مرشحا له في الانتخابات الرئاسية، واستطاع الفوز بذلك بأعلى منصب في الولايات المتحدة بحصوله على نسبة ٤٠ % من أصوات الناخبين، وهي على قلتها كانت كافية بسبب انقسام الديمقراطيين بين ثلاثة مرشحين ابرزهم السيناتور ستيفن أ. دوغلاس[٣].

وكرد فعل على انتخاب ابراهام لينكولن أعلنت عدد من الولايات الجنوبية انفصالها عن الاتحاد، وكانت المبادرة والسابقة إلى ذلك ولاية كارولاينا الجنوبية التي انسحبت في ٢٠ كانون الأول ١٨٦٠ قبل تسلم لينكولن لمهامه الرئاسية بشهرين ونصف، وخلال أسابيع قليلة تبعتها سبع ولايات أخرى[٤]، وشكلت فيما بينها ولايات ائتلافية أو ما تسمى بالولايات الأمريكية المتحالفة وانتخب جفرسون ديفس رئيسا مؤقتا لها[٥].

---

(١) ينظر الحلم والتاريخ: ٢٥٦.
(٢) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١٢٠.
(٣) ينظر الحلم والتاريخ: ٢٦٧.
(٤) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١٢٠.
(٥) ينظر تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ـ د. عبد الفتاح حسن أبو علية: ١٤٩.

وبعد مدة وجيزة اعلنت ولايات فرجينيا، اركنساس، كارولاينا الشمالية وتينسي انفصالها عن الاتحاد الفيدرالي ليصبح عدد الولايات المنفصلة احدى عشرة ولاية[١].

وبذلك يكون الرئيس لينكولن قد واجه واحدة من أعقد المشكلات في التاريخ الامريكي، إن لم تكن أعقدها، وسيكون عليه التصرف سريعا واتخاذ قرارات مصيرية هامة.

وبالفعل كان قراره حاسما في محاربة تلك الولايات واجبارها إلى العودة إلى الاتحاد فيما سمي بالحرب الأهلية التي استمرت من العام ١٨٦١ حتى العام ١٨٦٥[٢].

وقد انتصر في تلك الحرب الطاحنة، التي خلفت وراءها حوالي ٣٦٠ الف جندي من الشمال من أصل مليوني جندي مشارك، و٢٥٠ الف قتيل من الجنوب من أصل ٧٥٠ الف جندي مشارك في الحرب[٣]، ورغم ذلك العدد الكبير من الضحايا فإن هذا الانتصار قد عد ذلك من أهم انجازات لنكولن، وخصوصا بعد مرور وقت طويل على جفاف تلك الدماء.

كما أنه في عام ١٨٦٢ قد أطلق إعلانه الشهير بإلغاء العبودية، الذي استحق بموجبه من الإعلام والمواطن الامريكي تسميته بمحرر الرقيق[٤].

وفي ١٤ نيسان عام ١٨٦٥ وعندما كان الرئيس ذاهبا مع زوجته

---

(١) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٤١.
(٢) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٦.
(٣) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٤١.
(٤) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٢٠.

لمشاهدة مسرحية في إحدى دور العرض، تمكن شخص يدعى جون ويلكس بوث من مواليد ماريلاند ومتعاطف مع الجنوب من التسلل إلى حجرة الرئيس، وأطلاق رصاصة على مؤخرة رأسه مصحوبة بصرخة: ذلك هو مصير الطغاة! وهو نفسه النداء المكتوب على رمز ولاية فيرجينيا[١].

وبذلك تنتهي حياة ابراهام لنكولن في اليوم التالي متأثراً بجراحه، مسدلا الستار على تلك المرحلة الحرجة من تأريخ الولايات المتحدة الامريكية، وقبل أن يشهد بعينه انتهاء الحرب بأكملها بفترة قليلة، حيث أنها انتهت بانتصار الاتحاد في شهر آيار ١٨٦٥[٢].

ووري الثرى في ٤ أيار في مقبرة أواك ريدج في مدينة سبرينغ فيلد[٣].

وبالانجازين السابقين يعد ابراهام لنكولن من اكثر الرؤساء الامريكان أهمية عند المواطن الامريكي وعند كتاب التاريخ على حد سواء، ويبرز ذلك في كون نصب لنكولن هو أكثر النصب التذكارية الرئاسية الامريكية استقطابا للزوار[٤].

تميز لينكولن كثيراً بخطبه الحماسية والرنانة، وهي من أعظم اسلحته في لفت أنظار الأمة وحشد الدعم، ومن أشهرها ما يطلق عليه الخطبة الضائعة التي القاها في بلومنجتون عند إعلان ميلاد الحزب الجمهوري في الينوي رسميا، وسبب ضياعها التأثير الكبير الذي أحدثته في

---

(١) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١٢٤.
(٢) ينظر تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية: ١٥٥.
(٣) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١٢٥.
(٤) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ١٨.

المستمعين إلى حد أنه نسي كل المستمعين وحتى مخبرو الصحف أن يسجلوا كلمة واحدة من ذلك الخطاب[١].

وفيها يقول صديقه وشريكه في مكتب المحاماة بيلي هيرندون:

«لقد استمعت أو قرأت كل خطب المستر لنكولن العظيمة، وفي رأيي أن خطبة بلومنجتون كانت أجل أعمال حياته، فإنه ببساطة طرح مشكلة الرق على بساط السياسة بإسلوب السياسي دون الإشارة إلى الحق الأبدي؛ هنا ولد لنكولن من جديد كانت لديه الحمية لتحول جديد، لقد توقدت الشعلة التي خبا نارها، واشتعل في نفسه حماس لم يكن معهودا فيه وبرقت عيناه بالإلهام»[٢].

ومن أقواله الذائعة الصيت: «أولئك الذين يحرمون غيرهم الحرية، يستحقون هم حرمانهم منها، ولن يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا، تحت حكم رب عادل»[٣].

و: «إن أفضل طريقة للقضاء على العدو، هي أن تجعله صديقا»[٤].

ومن كلماته القصار المشهورة:

* يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت، لكنك لن تستطيع خداع كل الناس كل الوقت.

* لا يمكنك بناء خلق شخصي وشجاعة في رجل، إذا أنت سلبته مبادرته الشخصية واستقلاله.

---

(١) ينظر ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: ١٣٠.
(٢) ايب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: ١٣١.
(٣) ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٤٤.
(٤) المصدر السابق.

* لا يمكنك التهرب من مسؤولية الغد، بالتهرب من مسؤولية اليوم.
* أولئك الذين يحرمون غيرهم الحرية، يستحقون هم حرمانهم منها، ولن يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا، تحت حكم رب عادل.
* الناس ذوو المظهر العادي، هم أفضل الخَلق في العالم، لذا خلق الله هذا الكثير منهم.
* إن أفضل طريقة للقضاء على العدو، هي أن تجعله صديقا.
* إن أحسن طريقة لإلغاء قانون سيء، هي أن يتم تطبيقه بشدة.
* إن التزام الرجال الصمت حين يجب أن يجاهروا بالاحتجاج يجعل منهم جبناء.

وله مقولة جميلة في حق سبط النبي الأكرم ﷺ والد الإمام السجاد الإمام الحسين عليه السلام: «ما من عظيم إلا ويخلد إلا ان الحسين كان مميزا بسبب أفكاره النيرة، وعشق الناس له في شرق الأرض وغربها، وأن القرآن ومحمد والحسين ثالوث مقدس يجب النظر إليهم بنظرة تقديس لأن فيهم الكثير من المثل العليا واحترام حقوق الإنسان»[1].

إلى جانب مهاراته الخطابية والكلامية فقد اشتهر الرئيس الامريكي الراحل ابراهام لنكولن بنكاته ودعاباته الشهيرة لدرجة أنه في عام ١٨٦٣ صدرت كتب عديدة عن هذه النكات والدعابات، كما أن أحدى الصحف البريطانية وصفته بأنه ملك النكتة في العالم، ولم يتخل الرئيس لنكولن عن دعاباته ومرحه حتى في أحلك أوقات الحرب الأهلية وفي ذلك يقول الرئيس معلقا: «انني أضحك لأنه يجب علي ألا أبكي»[2].

---

(١) ينظر في موقع العتبة العلوية المقدسة http: //www.imamali-a.com/?part=2837

(٢) طرائف رؤساء أمريكا ـ مجدي قطب: ٨٨.

ومن لطائف قصصه أنه ذات يوم جاء اليه وفد من أعضاء الحزب الجمهوري في إحدى المناطق بالولايات المتحدة وأتوا يطلبون منه تعيين أحد أبناء منطقتهم في أحد المناصب، وتحدث أحدهم بالنيابة عن الوفد مشيدا بابن منطقته الذي يرغبون بتعيينه محاولا تأكيد جدارته أمام الرئيس لنكولن حتى يعينه الأخير في المنصب، واستمر ممثل الوفد في الإشادة بالرجل إلى ان قال: إن أي تكريم من ألقاب أو مناصب أو غير ذلك، لا يمكنه أن يفي هذا الرجل حقه من التقدير والمكانة اللتين يحظى بهما لدى ابناء بلده.

فقال الرئيس معقبا على المقالة الاخير وهو يبتسم: إن تعيين هذا الرجل وهو يحظى بمثل هذه المكانة وذلك التقدير في هذا المنصب المتواضع ظلم له وانتقاص من شأنه العظيم، لهذا سأعين شخصا غيره في هذا المنصب!![1].

وبعد اكتمال الحديث عن المقدمتين السابقتين في تاريخ الرق، وموجز حياة كل من المحررين: الإمام السجاد عليه السلام والرئيس لنكولن، نشرع فيما يلي في صلب الموضوع وندخل إلى التجربتين من خلال مناقشة أركانها الخمسة الدوافع والطريقة والمشمولين والنتائج والصدى الإعلامي، وستكون البداية من الدوافع.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر طرائف رؤساء أمريكا: ٨٨ ـ ٨٩.

الدوافع

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام السجاد عليه السلام

لمعرفة الدوافع التي ينطلق منها الإمام السجاد عليه السلام في قضية تحرير العبيد يجب تقديم صورة موجزة عما فعله أسلافه العظام عليهم السلام في هذا الشأن باعتبار أنه الامتداد الطبيعي والوارث الحقيقي لهم، فقد كان الرق من الظواهر الاجتماعية البارزة والشائعة في العصر الذي شهد ظهور الدعوة المحمدية المباركة، حيث كان الاسترقاق يحصل بأسباب كثيرة، وأولى الإسلام باعتباره الدين العالمي الخاتم للرسالات السماوية عنايته الفائقة للقضاء على هذه الظاهرة المقيتة وتحرير البشرية من كل قيودها المصطنعة.

ومن الآيات التي جاءت في القرآن الكريم للدلالة على المساواة بين الأفراد مهما اختلفوا في الأصل واللون والعنصر الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، حيث يكون تفاضل الناس بأعمالهم، وتسابقهم في طاعة خالقهم وتكون الكرامة للمتقي دون غيره.

وجاءت أحاديث خاتم النبيين صلى الله عليه وآله متناغمة مع هذا المعنى، وفيها الحديث المشهور: «كلكم لآدم وآدم من تراب»[2] و«ليس لعربي على

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) تحف العقول ـ ابن شعبة الحراني: ٣٤.

عجمي فضل ولا لعجمي على عربي فضل ولا لأسود على احمر فضل ولا لأحمر على اسود فضل إلا بالتقوى»[١].

وكان لهذه المساواة التي تنادي بها الأحاديث النبوية تصرفات عملية تعززها وتكسبها بعدا واقعيا تشهد بها سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن ذلك اختياره أحد العبيد المحررين حديثا، وهو بلال بن رباح الحبشي[٢] ليسند له أحدى المهام الجليلة في الإسلام وهي الأذان، كما أنه أدخل سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو من المستعبدين عند هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في عداد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله عندما قال صلى الله عليه وآله: «سلمان منا أهل البيت»[٣]، واشتهر هذا الصحابي الجليل أثر ذلك بلقب سلمان المحمدي[٤].

وقد تميزت النظرية الإسلامية في التحرير والتي أسس قواعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وتابعه عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام بخلوها من الإشكالات التي لم تتجاوزها التجارب الأخرى حيث انصب اهتمام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على محورين، الأول: تجفيف أغلب منابع الرق السائدة آنذاك مثل الرق بسبب الفقر أو بسبب عدم القدرة على دفع الدين أو

---

(١) مجمع الزوائد ـ الهيثمي ٣: ٢٧٢.

(٢) جاء في الأعلام ـ خير الدين الزركلي ٢: ٧٣: «بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله: مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين للإسلام. وفي الحديث: بلال سابق الحبشة، وكان شديد السمرة، نحيفاً طوالاً، خفيف العارضين، له شعر كثيف. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفي رسول الله أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك».

(٣) المعجم الكبير ـ الطبراني ٦: ٢١٣.

(٤) ينظر روضة الواعظين ـ الفتال النيسابوري: ٢٨٣.

بسبب السرقة أو بسبب وراثة العبودية من الأم مع كون الأب من الأحرار أو أشرافهم.

وتعامل بواقعية مع المنبع الآخر للرق وهو منبع الحروب التي تحصل مع غير المسلمين، حيث ترك ذلك بيد ولي الأمر، وهو شيء يخالف ما هو في الأذهان، يقول آية الله ناصر مكارم الشيرازي في هذا الصدد:

«فإن استرقاق أسرى الحرب ليس حكما إلزاميا، بل على المسلمين أن يأتوا بالأسرى إلى حاكم الشرع أو زعيم المسلمين بعد انتهاء الحرب ولا يحق لأي شخص قتلهم، ومع الأخذ بنظر الاعتبار مصلحة المسلمين من حيث الزمان والمكان يقوم قائد المسلمين بأحد ثلاثة أمور:

١ ـ إما أن يصدر أمراً بالإفراج عنهم بدون قيد أو شرط.

٢ ـ أو أن يصدر أمراً بالإفراج عنهم مقابل ما يدفعونه فيما لو رأى صلاح ذلك.

٣ ـ أو أن يصدر حكما باسترقاقهم وأخذهم عبيدا فيما إذا اقتضت المصلحة ذلك ومثلما نلاحظ أن حكم الاسترقاق ليس حكما إلزاميا بل يقبل المرونة وإذا اقتضى الأمر يمكن أن يغض النظر عنه»[1].

أما في المحور الثاني فكان المشرع الإسلامي يسعى للخلاص من الرقيق الموجود واقعا عبر ترغيب الناس في الإعتاق وعده من الأعمال

---

(١) الإسلام وتحرير العبيد ـ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٠ ـ ٢١.

الصالحة التي يحصل الإنسان على القيام بها عظيم الأجر الأخروي، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أعتق مسلما أعتق الله عز وجل بكل عضو منة عضوا من النار»[١]، وفي السياق ذاته جعل الشارع المقدس تحرير الرقبة من موارد الكفارات التي يتوجب على المسلم أدائها عند ارتكابه لبعض المخالفات ككفارة الإفطار المتعمد في صوم شهر رمضان[٢] وكفارة القتل[٣] وكفارة اليمين[٤] ونحوها.

كما انه فتح الباب واسعا أمام العبيد للتحرر من عبوديتهم عبر إجراءات وطرق أخرى بين العبد وصاحبه كالمكاتبة والتدبير ونحوها.

حتى عد من أسباب العتق عمى المملوك وجذامه وتنكيل المولى به[٥].

والشيء البارز في تصدي الإسلام لهذه المشكلة، التعامل معها من جذورها، فلم يكتف بالمعالجة الشكلية التي نراها في أهم التجارب العالمية الحديثة كالتجربة الفرنسية والأمريكية وغيرها التي قنعت بغايتها القصوى وهي إلغاء الرق فقط دون التصدي للمشاكل الأخرى المترافقة مع العبودية وأهمها مشكلة التمييز العنصري وطرق القضاء عليه وتدريب النفس البشرية على ملاحظة سيئاته وصولا بالمجتمع إلى الانسجام الكامل بين أفراده.

وبذلك تكون عملية تحرير الأرقاء عند الإمام السجاد عليه السلام استمراراً

---

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني ٦: ١٨٠.
(٢) ينظر منهاج الصالحين ـ السيد السيستاني ١: ٣٢٧.
(٣) ينظر تكملة منهاج الصالحين ـ السيد الخوئي: ٩٦.
(٤) ينظر العروة الوثقى ـ السيد اليزدي ٣: ٦٤٩.
(٥) ينظر منهاج الصالحين ـ الشيخ وحيد الخراساني ٣: ٣٥٧.

لجهود رسول الله ﷺ في محاربة العبودية والتمييز العنصري، كما أنه استمرار لنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، ففي التاريخ القريب من عصر الإمام السجاد عليه السلام كان جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من المشهورين بتحرير العبيد، وجاء في الأثر أنه أعتق ألف عبد من كد يمينه(١).

وفي النظرة السريعة إلى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يتبين التطبيق العالي للنظرية الإسلامية فقد كان المقداد بن الأسود الكندي وهو من ذوي البشرة السوداء(٢) من خلص أصحابه وشيعته(٣).

كما كان ميثم التمار(٤)، وهو من الموالي المحررين من غير العرب(٥) معدودا في حواريه المشهورين(٦).

وقد لام بعض المعدودين في أشراف العرب وشيوخهم الإمام

---

(١) ينظر شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٤: ١١٠.
(٢) ينظر سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ١: ٣٨٦.
(٣) ينظر أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ١: ١٨.
(٤) «ميثم بن يحيى الأسدي بالولاء: أول من ألجم في الإسلام!. كان عبدا لامرأة من بني أسد، واشتراه علي بن أبي طالب منها، وأعتقه. ثم كان أثيراً عنده. وسكن بعده الكوفة. وحبسه أميرها عبيد الله بن زياد لصلته بعلي، ثم أمر به فصلب على خشبة، فجعل يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه! فكان أول من ألجم في الإسلام. ثم طعن بحربة. وكان ذلك قبل مقدم الحسين إلى العراق بعشرة أيام» «الأعلام ـ خير الدين الزركلي ٧: ٣٣٦».
(٥) كما يظهر من عبوديته بعد انتشار الإسلام وقول أمير المؤمنين عليه السلام له حينما سأله عن اسمه فقال: سالم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: اخبرني رسول الله ﷺ إن اسمك الذي سماك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله ورسوله وصدق أمير المؤمنين! والله انه لأسمي، قال: فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله ودع سالما، فرجع إلى ميثم، واكتنى بأبي سالم «ينظر الأنوار العلوية ـ الشيخ جعفر النقدي: ٤٦٣».
(٦) ينظر مستدركات علم الحديث ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي ٨: ٤٤.

عليا عليه السلام على تقريبه للموالي، باعتبار أنهم من أصول غير عربية، فرد عليهم أمير المؤمنين عليه السلام رداً حاسماً من على منبر الكوفة[١].

وشهرة الإمام السجاد عليه السلام الواسعة في تحرير الأرقاء قد تكون ناجمة من الظروف التي كانت في عصره والمتمثلة بوفود أعداد هائلة من العبيد إلى البلاد الإسلامية، ومن مختلف الجنسيات والبلدان والأعراق نتيجة الحروب والفتوحات الكثيرة التي قام بها حكام عصره.

كما إن للطريقة التي تعامل بها عليه السلام مع هذه الظاهرة المختلفة عما سبق من أزمنة دور رئيس في ذلك.

ولو أردنا أن نسجل الدوافع وراء هذا العمل النبيل عند الإمام السجاد وباقي أئمة المسلمين عليهم السلام فإننا لن نجد سوى تطبيق الإسلام وطلب مرضاة الله لا غير، وهو المشهور بمساواته لعباد الله أحراراً كانوا أم من الأرقاء، وقد زوج أحد عبيده المحررين من المرأة التي ربته بعد وفاة والدته السيدة شاه زنان عليها السلام وكان يناديها بأمه[٢]، كما انه حرر أحد إمائه وتزوجها في حادثة لم تصل مضامينها لأذهان الكثيرين ممن أغلقت الرئاسة أعينهم كعبد الملك بن مروان الذي بعث للإمام السجاد عليه السلام قائلاً: «أما بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في

---

(١) ينظر شرح نهج البلاغة ١٩: ١٢٤، وفيه: «ان الأشعث قال له وهو على المنبر: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة، يتخلف أحدهم يتقلب على فراشه وحشاياه كالعير ويهجر هؤلاء للذكر! أأطردهم؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين، والله لقد سمعته يقول والله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا. قال أبو عبيد: الحمراء: العجم والموالي، سموا بذلك لأن الغالب على ألوان العرب السمرة، والغالب على ألوان العجم البياض والحمرة. والضياطرة: الضخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء، واحدهم ضيطار».

(٢) ينظر حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ـ السيد عبد الرزاق المقرم: ٣٢.

أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام»[١].

فكتب إليه الإمام عليه السلام: «أما بعد فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر واستنجبه في الولد وأنه ليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله مرتقا في مجد ولا مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متي أراد الله عز وجل مني، بأمر ألتمس به ثوابه ثم ارتجعتها على سنة ومن كان زكيا في دين الله فليس يخل به شيء من أمره وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة وتمم به النقيصة وأذهب اللؤم فلا لؤم على امرئ مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام»[٢].

ولم يقتصر عطاء الإمام زين العابدين عليه السلام على ذلك الباب بل كان هذا بمثابة حلقة من سلسلة معالجات إصلاحية لكل جذور المشاكل الاجتماعية التي أثقلت كاهل العديد من المسلمين، ومن يطالع في سيرة الإمام عليه السلام يرى بارزا ما قدمه في تخفيف الفقر وإعالة المحتاجين وبطريقة صدقة السر التي لم يعرف المستفيدون منها هوية المتصدق إلا بعد وفاته.

يقول محمد بن إسحاق: «كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل»[٣].

---

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني ٥: ٣٤٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٣.

وعن ولده الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام إنه كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي بابا بابا، فيقرعه ثم يناول من كان يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه[١].

وإذا كانت بعض الطوائف الإسلامية لا تعترف بإمامة علي بن الحسين عليه السلام بحسب ما تلتزم به من عقائد، فإنها تتفق مع الشيعة على جلالة قدره، وموقعه البارز في القمم العليا من المسلمين.

قال الذهبي ـ وهو من كبار علماء أهل السنة ـ فيما نقل عن خصائص الإمام عليه السلام: «وكان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلا للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله»[٢].

كما أنها أيضاً لا تختلف أيضاً معنا في الدوافع الإسلامية وراء هذا العمل الجليل وغيره من الأعمال التي جاءت بها سيرة الإمام عليه السلام وأجمع الكل على علو مناقبه وجلالة قدره.

وقد ترجم له ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب، فقال:

«علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشيا أفضل منه»[٣].

وإذا أردنا الحديث عن دوافع أخرى يبرز الدافع الأخلاقي وهو جزء مهم من الدافع الديني في الإسلام، والإمام هو خير من يمثله في زمانه باعتبار أن الإسلام إنما يرغب بتحرير العبيد، ولا يوجب ذلك إلا في

---

(١) ينظر بحار الأنوار ٤٦: ٨٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٨.
(٣) تقريب التهذيب ـ ابن حجر ١: ٦٩٢.

حالات خاصة كالنذر مثلا، فيكون الخلق الإسلامي الرفيع الذي ينظر للناس من باب إنسانيتهم هو الحاكم بإطلاق حرية الأرقاء بعد استحقاقهم لها.

ولم يكتف الإمام السجاد عليه السلام باعتباره الوارث الحقيقي لمن اجتمعت فيه مكارم الأخلاق بالتحرير بل وضع دستوراً أخلاقياً مشتقاً من القرآن الكريم تتمثل فيه الحقوق بأبهى حلة، يسمى برسالة الحقوق يستحق أن يمثل النظرية الأخلاقية للخط الفكري الذي دأب عليه أهل البيت عليهم السلام، ولنستمع إليه وهو يرتل بعض حقوق المملوكين:

«وحق مملوكك أن تعلم أنه خلق ربك، وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنك صنعته دون الله تعالى ولا خلقت شيئا من جوارحه ولا أخرجت له رزقا، ولكن الله عز وجل كفاك ذلك ثم سخره لك، وأتمنك عليه واستودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتيه من الخير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به ولم تعذب خلق الله عز وجل»[1].

وتأكيدا على ما سبق نود القول أن للإمام زين العابدين عليه السلام كبقية أهل البيت عليهم السلام قصب السبق في الالتزام الأخلاقي في التعامل الحسن مع الإنسان بل ومع الحيوان أيضاً، ومما يذكر التاريخ له موقفه في قضية الرفق بالحيوان حيث يروى أنه حج عشرين حجة على ناقة فلم يقرعها بسوط، وقد حج مرة فالتاثت عليه الناقة في سيرها أي أبطات، فأشار إليها بالقضيب ثم قال: «آه!! لولا القصاص، ورد يده عنها، وفي رواية إنه رفع القضيب وأشار إليها، وقال: لولا خوف القصاص لفعلت»[2].

---

(١) شرح رسالة الحقوق: ٥٣٧.

(٢) أعيان الشيعة ١: ٦٣٤.

وبعد الدافع الديني والأخلاقي لا يبقى مكان لشيء آخر لافتراضه في أصل المسألة أي التحرير، أما بعض الجوانب في الطريقة التدريجية التي اتبعها الإمام السجاد عليه السلام لتحقيق ذلك الهدف السامي والتي سيأتي الكلام عنها لاحقا، فيمكن أن نفترض لها أسبابا جعلتها تظهر بهذا الشكل.

فيكون من دوافع اللجوء إلى إبقاء العبيد لفترة من الزمن في بيت الإمام عليه السلام قبل فك عبوديتهم، معالجة الفقر الثقافي تجاه تعاليم الدين الإسلامي الذي كان يعاني منه المجتمع آنذاك ببركة حكام الضلالة وسياساتهم المنحرفة، ولا يظنن أحد أن المجتمع وأكثر أفراده كانوا من العارفين بأمور دينهم، بل أن الضياع والجهل كان ملبس الغالبية العظمى من الناس في ظل حكومات يقودها من أدخل إلى الإسلام رغما عنهم، وهم يرون أن العلم بحقائق الدين وأحكامه ورموزه من ألد أعداء سلطانهم.

ومن الأمثلة على شيوع الجهل في أروقة المسلمين آنذاك أن الناس غير المرتبطين بأئمة أهل البيت عليهم السلام باتوا لا يعرفون كيفية الصلاة وهي عمود الدين إضافة إلى كونها من العبادات اليومية المتكررة، يقول الزهري محدثا عن أنس بن مالك وهو من معمري الصحابة[1]، حينما قدم على الوليد سنة اثنتين وتسعين: «دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف مما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد صنعتم فيها ما صنعتم»[2].

---

(١) توفي سنة ٩٢هـ بحسب ما جاء في التاريخ الصغير ـ البخاري ١: ٢٤١.
(٢) البداية والنهاية ٩: ١٠٦.

والأمر شبيه بذلك فيما يتعلق بالحج تلك الفريضة المهمة، وفيه يقول الحسن البصري وهو من كبار محدثي أهل السنة في ذلك العصر، والمتوفى سنة ١١٠هـ عن عمر يقارب التسعين[١]:

«لو خرج عليكم أصحاب رسول الله ﷺ ما عرفوا منكم إلا قبلتكم»[٢].

الأمر الذي يجعل من فترة البقاء القليلة في ربوع الإمام عليه السلام منهلا من مناهل العلم المكتسب من محمد وآل محمد ﷺ والذي يصعب الحصول على ما يشابهه مع تضييق أولئك الحكام على المتقربين إلى الإمام عليه السلام.

كما إن السياسة العنصرية التي كان الحكام يمارسونها تجاه الأرقاء الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم لا يمكن إغفالها وتناسي تأثيرها في النفوس، فالحكام الأمويون الذين لا يمثلون الإسلام بأي حال من الأحوال كانوا يمتلكون تلك النظرة القومية البغيضة التي تقسم الناس إلى عرب وموالي، وتنظر إلى الموالي على أنهم أشباه الناس، حتى أن حاكم البصرة بلال بن أبي بردة يضرب أحد الأشخاص من غير العرب لأنه تزوج من امرأة عربية[٣]، ولم يقف الأمر عند هذا النوع من التمييز العرقي بل أن الحكام والولاة في العهد الأموي اخترعوا تمييزا آخر، في نظرتهم إلى غير القرشيين من العرب بنظرة دونية، وغير بعيد قول سعيد بن العاص الوالي في حكومة عثمان: «السواد بستان قريش»[٤].

---

(١) ينظر تقريب التهذيب ١: ٢٠٢.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ـ ابن عبد البر ٢: ٢٠٠.
(٣) ينظر سير أعلام النبلاء ٦: ٣٧٠.
(٤) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ٣: ١٣٩.

وللتأكيد على دور هذه التفرقة على أساس العنصر والتي اتسم بها العصر الأموي عموما يمكن ملاحظة المشاركة الواسعة والدور الفعال للمحررين أو ما يطلق عليهم "الموالي" في الثورات العديدة التي قامت ضد حكام بني أمية، وبالخصوص في ذوات الصفة الشيعية كثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وللأسباب المتقدمة وغيرها فإن إعداد العبيد كان يجري في بيت الإمام عليه السلام وبإشرافه وعلى مرأى ومسمع منه لإكسابهم الفضائل العلمية والاجتماعية، ورفدهم بالمهارات المطلوبة لتعزيز الثقة بالنفس، حتى يتمكنوا من الولوج إلى ذلك المجتمع بكل يسر ومن الباب الواسع.

الرئيس لنكولن

والحقيقة أن الحديث عن الدافع الذي أدى بلنكولن إلى اتخاذ قرار تحرير العبيد، قد يكون شائكاً أو يتسم ببعض الغموض على الرغم من القرب الزمني نوعا ما لفترة حكم الرئيس الأمريكي من عصرنا الحالي.

وقد اختلف كتاب سيرة محرر العبيد الأمريكي حول ذلك، وأدلوا بآراء مختلفة، بل ومتصادمة في بعض الأحيان، اعتمادا على ما أدلى به الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة من تصريحات وخطب، أو استنباطاً من مواقف معينة.

فهناك من يجعل الدافع في قرار التحرير أمراً سياسياً بحتاً لا يحمل في طياته أية سمة إنسانية، إلى حد القول بأن أبراهام لنكولن المتطلع نحو البيت الأبيض قد ركب موجة المطالبين بإلغاء العبودية ونجح في ذلك.

يقول الكاتب مايكل جاد فريدمان معبراً عن أصحاب هذا الرأي:

«وأما بالنسبة للبعض، فهو ـ أي لنكولن ـ انتهازي ترصّد حركة إلغاء الرّق وتستر وراءها، وكان في الواقع من المدافعين عن نزوح الأميركيين السود وهجرتهم الطوعية إلى الخارج ومن المؤمنين بالتفوق العرقي للبيض»[1].

---

(١) إرث من الحرية: ٢٠.

ومع حقيقة وجود الحركات التي كانت تدعو إلى إلغاء العبودية في البلاد الأمريكية، ونضالها الطويل في سبيل ذلك وما كان يجري بين ولايات الشمال الرافضة للرق والولايات الجنوبية الداعمة له من مناوشات، خاصة عند دخول ولايات جديدة إلى الاتحاد[١] إلا أن الحماس الذي حمله لنكولن حتى قبل انتخابه في الكونغرس لا يصح تفسيره بالرغبة في تسلق سلم السلطة على أكتاف الأرقاء، خصوصا وأنه وخلال فترة رئاسته وقبل استلامه للمنصب تعرض مستقبله السياسي ومستقبل بلاده إلى الخطر، فلم يتراجع عن رغبته في تحرير العبيد.

وبغض النظر عن استخدام التحرير وسيلة للحصول على مآرب سياسية، أو عدم وجود ذلك فإن إعلان الرئيس قد الجم بريطانيا العظمى المتربصة بالاتحاد الأمريكي، وقضى على خططها الجادة للاعتراف بالحكومة الفيدرالية الوليدة في الجنوب[٢].

وهناك من يرى في الدافع الديني حافزا وراء ذلك العمل، اعتمادا على كون الرئيس الأمريكي ينحدر من عائلة منتمية للطائفة المعمدانية، التي كانت ترفض الرق والعبودية، مع أنهم ـ أي أصحاب هذا الرأي ـ لا ينكرون أن الرئيس لنكولن لم ينتم في حياته ولو بصيغة شكلية إلى الكنيسة[٣].

وقد يكون هذا الدافع مقبولا إلى حد ما، خصوصا إذا علمنا أنه قد خاطر بمستقبله السياسي ومستقبل بلاده، حينما أصر على رؤيته تلك،

---

(١) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٤٨.

(٣) رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم: ١١٧.

واضطراره إلى قيادة البلد نحو ما يعرف بالحرب الأهلية أثر انفصال بعض الولايات الرافضة لإلغاء العبودية وتشكيلها ما يعرف بـ الكونفدرالية.

وهناك من الباحثين والمؤلفين من يضيف دافعا آخر هو الرغبة في تجنيد أصحاب البشرة السوداء ـ وهم يشكلون غالبية العبيد ـ ضمن الجيش الأمريكي، ويمكن أن نسمي ذلك بالدافع العسكري.

ويكون الدليل على هذا الدافع وثيقة التحرير نفسها حيث أمرت بتجنيد السود، أو كلمات لنكولن نفسه، حيث وصف هذا الإعلان «بأنه تدبير تمليه ضرورة عسكرية هدفه تشجيع الأرقاء على تركهم المزارع، والانضمام إلى جيوش الاتحاد المتقدمة في زحفها»[1].

ومن كتاباته التي تصلح دليلا لأصحاب هذا الرأي قوله:

«ليس في مقدور أي قوة بشرية أن تخمد هذه الثورة دون استخدام أداة تحرير الرقيق كما استخدمتُها، وقال: إذا كان لهم الأميركيين الأفارقة أن يعرّضوا حياتهم للخطر من أجلنا، فلا بد لهم من أقوى الدوافع كي تحفزهم، وبما أن الوعد قد حصل، فلا بد من الوفاء به وإلا فلماذا يضحون بحياتهم من أجلنا، مع العلم تماما بنيتنا في خداعهم؟»[2].

وعند مناقشة هذا الدافع بصورة موضوعية، فإن كلماته المتأخرة هذه لا تصلح لأن تعبر تماما عن مآرب نضاله السابق في هذا المضمار، فقد كان يحمل هذه النظرة الإيجابية حول معاداة العبودية في بواكير انغماسه

---

(١) ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٣٧.
(٢) ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٢٤.

في عالم السياسة الصاخب، مع عدم إنكار بعض الفائدة التي تحققت للرئيس لنكولن نتيجة لقيامه بهذا العمل على الجانب العسكري، إلا أنه لم يكن السبب الرئيس في انتصار قواته على القوات الجنوبية المنفصلة، حيث أن توقيت الإعلان كان متأخراً وبعد انتصار حاسم للشمال في معركة انتيبيتم[1].

نعم قد تكون هناك أسبابا إضافية أخرى تعزز الدافع الأساس إلا أنها تبقى هامشية أو قليلة الدافع كتعاطفه مع العبيد أثناء مشوار حياته نظراً للظروف الصعبة التي عاشها وعاشتها عائلته من قبل، حيث قدم من عائلة فقيرة ذاقت شظف العيش، وتحملت مرارته البالغة.

وفي المقابل فإن عددا من تصريحات لنكولن، وبعض تصرفاته تلقي ظلالها في جزم الباحثين عن الدافع المناسب، ولعل من أهم الأمور التي تطفو على السطح شيئان مهمان:

الأول: إصرار لنكولن على اتخاذ قرار التحرير بنفسه، وعدم الاعتراف أو إلغاء ما صدر من غيره كما حصل في إعلان القائد العسكري لقوات الإتحاد الجنرال هنتر تحرير الأرقاء، فصرح الرئيس لنكولن مشددا على عدم جواز قيام أي قائد بها العمل دون استشارته، وأبلغه في رسالة غاضبة، بأنه لا يحق له أو لأي مرؤوس آخر تحرير أي إنسان، وأكد بوضوح بأن الحق له وحده في تحرير الأرقاء في الوقت الذي يختار[2].

الثاني: بقاء إعلان تحرير الرّق الذي أصدره الرئيس صامتا غافلا عن

---

(١) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧: ٢٤٨.
(٢) ينظر أحرار في النهاية: ١٧.

ذكر الأرقاء في الولايات الحدودية التي لم تنضم إلى الكونفدرالية بما فيها كنتاكي وميزوري وماريلاند وديلاوير ـ بالإضافة إلى أجزاء من ولاية تنيسي احتلها الاتحاد ـ وبهذا استطاع لنكولن كسب تأييد تلك الولايات الحساسة وتلافى نفور المحافظين الشماليين والموالين للاتحاد في الجنوب واستبعادهم(١).

وكل الاختلاف في تحديد السبب الذي دفع أبراهام لنكولن لتحرير العبيد لا ينقص من قدر هذا المحرر، ولا يحط بالتالي من قيمة عمله الذي غير به وجه التاريخ الأمريكي، وكان مقدمة لتغيير التصرف العالمي في هذا الباب.

وبالإضافة إلى الأمرين السابقين فإن هناك مشكلة أخرى تواجه الباحثين في تاريخ هذا الرجل وسيرته، وهي أنه وبحسب كلماته الصادرة لم يكن مؤمنا بالمساواة بين الأعراق، بل يمكن اعتباره مع انجازه الكبير في التحرير من أشهر العنصريين في وقته، حيث كان يعتبر التمييز العنصري من الأمور الطبيعية مفضلا العنصر الأبيض على من سواه! ومن كلماته التي تحمل هذا المعنى قوله:

«أنا لست، وما كنت قط من مؤيدي الوصول بأي صورة كانت إلى المساواة بين العرقين الأبيض والأسود، أنا لست، وما كنت قط من القائلين بأن نجعل السود ناخبين أو محلفين، أو أن يتاح لهم شغل الوظائف العامة، أو الزواج بالبيض، وسأقول أن ثمة فرقا طبيعيا بين السود والبيض يحول دون حياتهم معا على قدم المساواة السياسية والاجتماعية، وما داموا لا يستطيعون سبيلا إلى العيش كذلك فليبقوا

---

(١) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ٣٧.

معا، البيض في وضع متفوق والسود في وضع أدنى، وأنا بقدر أي آخر أقول أن المكانة العليا ـ المتفوقة ـ ينبغي أن تكون للعرق الأبيض»[١].

كذلك مقولته الشهيرة، عندما تحدّاه خصمه السياسي ستيفن ا. دوغلاس، واتهمه بأنه يؤيد المساواة العنصرية ردّ لنكولن بالقول: «لست، ولم أكن أبدا من مؤيدي المساواة الاجتماعية والسياسية بين الجنسين الأبيض والأسود بأي شكل من الأشكال»[٢].

وهاجم لنكولن غريمه قائلاً: «إن هذا المنطق الزائف الذي يدعي أن مجرد عدم رغبتي في أن تكون امرأة زنجية عبدة لي يعني بالضرورة أنني أريدها زوجة»[٣].

(١) الحلم والتاريخ: ٢٦٦.
(٢) ابراهام لنكولن أرث من الحرية: ٢٠.
(٣) المصدر السابق

الطريقة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام السجاد عليه السلام

تتلخص طريقة الإمام السجاد عليه السلام في تحرير العبيد بشرائه أعدادا منهم، ثم اختيار بعض المناسبات السعيدة لإطلاقهم، كآخر ليلة من ليالي شهر رمضان التي تسبق عيد الفطر، ويوم عرفة الذي يسبق عيد الأضحى.

قال السيد ابن طاووس رحمه الله في حديثه عن الإمام عليه السلام:

«كان إذا ملك عبدا في أول السنة أو في وسط السنة، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني، ثم أعتق كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال»[1].

وفي هذه الطريقة يتلقى المحررون قبل تحريرهم بحكم تواجدهم في حياة الإمام عليه السلام دروسا نظرية وعملية تنفعهم في الدنيا والآخرة، ويصبحون من خلالها أكثر استعدادا لمزاولة حياتهم الجديدة والانخراط في المجتمع والمساهمة الفاعلة فيه.

وبهذه الدروس يكون بيت الإمام عليه السلام أشبه بجامعة مصغرة تقام فيها

---

(١) إقبال الأعمال ـ السيد ابن طاووس ١: ٤٤٥.

باستمرار العديد من الدورات السريعة التي ينال فيها المشارك، بالإضافة إلى التعليم عطايا ومنح مجزية[١]، يبدأ بها حياته الجديدة بعد التحرير بكل يسر وسهولة، فيما يشبه ما يطلق عليه في عصرنا الحالي برنامج القروض الصغيرة التي تمنحها الدول أو المؤسسات لتشغيل العاطلين، مع وجود الفرق بأن عطايا الإمام عليه السلام لا تسترد بينما تسترد القروض الحالية.

ومن ملاحظة اختيار العيدين كتوقيت للتحرير، يتبين عدم بقاء العبيد لمدة طويلة، فأكثر مدة يقضيها أولئك في رعاية الإمام السجاد عليه السلام لا تزيد على عشرة أشهر في أكثر الأحوال.

كما إن العتق في يوم عرفة بالخصوص، وفي ذلك الموقف المهيب الذي يتجمع فيه الحجاج من كل أصقاع الأرض لا يخلو من تشجيع للحاضرين لتلك المراسم والطقوس الرائعة على التأسي بحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، ووارثه واستذكار السماحة التي يكتنزها الإسلام وأهله.

وهناك فائدة أخرى يمكن استنتاجها أيضاً من اختيار يوم عرفة كأحد التوقيتين الرئيسيين للإعتاق، لا تقل أهمية عن سابقتها لكنها تختلف في من تعود عليه، حيث أن هذه الفائدة تعود على المحررين أنفسهم، من جهة إمكانية اكتساب ثواب الحج حيث تحدث روايات أهل البيت عليهم السلام بذلك، فعن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «مملوك أعتق يوم عرفة؟ قال: إذا أدرك أحد الموقفين فقد أدرك الحج»[٢].

---

(١) ينظر الصحيفة السجادية (ابطحي) ـ الإمام زين العابدين عليه السلام: ٢٨٧ وفيها: «فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس».

(٢) الاستبصار ـ الشيخ الطوسي ٢: ١٤٨.

وإضافة إلى التوقيتين الثابتين فإن هناك استثناءات من مدة البقاء لدى الإمام عليه السلام حينما يكون في التحرير السريع مصلحة أكبر من مصلحة البقاء، حيث حفظ لنا التاريخ عدة أمثلة تحمل في طياتها جملة من الصفات الأخلاقية العظمى إضافة إلى إطلاق الحرية ومنها:

١ ـ روى ابن أبي الدنيا: «أن غلاما سقط من يده سفود وهو يشوي شيئا في التنور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله، فنهض علي بن الحسين مسرعا، فلما نظر إليه قال للغلام: إنك لم تتعمد، أنت حر، ثم شرع في جهاز ابنه»[1].

وعظمة هذه القصة واضحة في كل عصر ولا نحتاج في بيانها إلى مقارنتها بما كان عليه العبيد في قرون لاحقة في أوربا وأمريكا نفسها حين كان السيد يعاقب أو يقتل عبده دون مساءلة أو دون سبب حتى.

٢ ـ «جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه! فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال قد عفا الله عنك! قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: فاذهبي فأنت حرة»[2].

وفيها يتضح أيضاً مقدار المعرفة التي اكتسبتها هذه الخادمة حيث جاءت بالآيات القرآنية التي تنفع في هذا المقام.

وهناك مراسيم خاصة يقوم بها الإمام عليه السلام في هاتين المناسبتين

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ٩: ١٢٥.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٧.

العزيزتين على قلوب المسلمين، تتمثل في الطلب من عتقائه الصفح والدعاء إلى الله بأن يغفر للإمام عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا أمة[1]، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا. وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله. حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كلما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كلما عملت لديه حاضراً كما وجدناه كلما عملنا لديك حاضرا، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوا، وبك رحيما، ولك غفورا، ولا يظلم ربك أحدا، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي

---

(١) وليس معنى ذلك أنه عليه السلام كان يضرب عبيده في غير شهر رمضان دون ان يستحقوا ذلك التعزير، كما قد يفهم البعض من النص، ولا صحة لبعض المرويات التي تتحدث عن ذلك الفعل لأنها تنتهك العصمة الواجبة في أئمة الدين، وسيرة الإمام السجاد عليه السلام شاهدة على ذلك فهو الذي لم يضرب ناقته خوفاً من القصاص، كما إن قول عبيده في النص نفسه: «قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت» شاهد على ذلك.

بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيبا وشهيدا، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فإنه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا وقد أتيناك سؤالا ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين. إلهي كرمت فأكرمني إذا كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم. ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ فإني مليك سوء، لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت. فيقول عليه السلام لهم: قولوا: اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق، فيقولون ذلك. فيقول عليه السلام: اللهم آمين يا رب العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي. فيعتقهم»[1].

والتأثير النفسي لهذا الفعل الذي تختم به حياة العبودية عند أولئك الأفراد واضح جدا، فمع أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يخطأ بحق أحد كما هو معروف من عصمته، هو وباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام، إلا أن طلب الصفح من هؤلاء الناس يمثل شحنة معنوية تذهب بالأحقاد

---

(١) الصحيفة السجادية «ابطحي»: ٢٨٥ ـ ٢٨٧.

التي قد توجد في بعض النفوس نتيجة بعض تصرفات المالكين قبل الإمام عليه السلام.

ولعلنا نستطيع أن نقول بثقة: أن هذا التصرف بمثابة اعتذار من الإمام السجاد عليه السلام وهو يمثل المنصب الأرفع في الدولة الإسلامية باعتباره الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله في عصره للعبيد عن فترات استرقاقهم عند الإمام عليه السلام وعند من سبقه، وهي بادرة لم توجد في محاولات التحرير اللاحقة في التجارب غير الإسلامية كالثورة الفرنسية، والتجربة الأمريكية وغيرها.

وفي طلب الدعاء إلى الخالق سبحانه وتعالى من هذه الرفقة مع رفعة مقام الإمام السجاد عليه السلام عند الله عز وجل، إشارة إلى الأهمية التي يوليها الدين الإسلامي وقادته الحقيقيون لجميع أفراد المجتمع مهما كانت مراتبهم، وعناصرهم وألوانهم، ونظرة الناس إليهم.

كما أن ذلك ينبئ عن عظمة النهج الذي طبقه الإمام السجاد عليه السلام، حيث لم يكتف بتحرير العبيد، بل كان يزرع في نفوسهم بذور الخير والمعرفة إضافة إلى محاربته للتمييز الطبقي والعنصري الذي لم يقم بها غير أهل البيت عليهم السلام في كل التجارب البشرية للإعتاق.

وقد يشكل البعض على طريقة الإمام السجاد عليه السلام بإبقاء العبيد فترة معينة حتى يتم إطلاقهم، بأن تعليمهم ومساعدتهم يمكن أن يحدث ويحقق الغرض المنشود مع كونهم أحرارا.

إلا أن الملاحظ على هذا الرأي أنه أغفل قيمة المعايشة اليومية لهكذا شخصية إنسانية، وحجم الأخلاق والتصرفات المكتسبة والتطبيق العملي الذي يحصل عليه أولئك الأرقاء خلال تواجدهم في ضيافة

الإمام عليه السلام والذي لا يمكن له أن يحدث فيهم الفرق نفسه لو كانوا متحررين وبعيدين عن عالم الإمام عليه السلام.

فكيف يكون حال الإنسان وهو يجاور ويلاحظ من كان يصفر وجهه حينما يتوضأ للصلاة، وكان يرتعد من خشية الله أثناء عبادته، بل ويبكي وهو يناجي ربه الكريم مراراً:

«وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني، فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن استحي من ربي؟ ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي؟ ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح رديـة وما في الورى خلق، جنى كجنايتي»[1]

كما أن الدنيا ستصغر حتما في عيني من راقب الإمام منشغلا بعبادته غير آبه بالحريق الذي شب في داره، لأن التفكير بالنار الكبرى، ويقصد بها عقوبة رب العالمين للعصاة قد أشغل لبه[2].

إضافة إلى أن الظروف السياسية السائدة آنذاك، والمراقبة التي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩١.

(٢) نقل السيد المرعشي رحمه الله في شرح إحقاق الحق ١٢: ٣٢ مصادر عديدة على أنه «وقع في بيته ـ أي الإمام علي بن الحسين ـ حريق وهو ساجد فجعلوا يقولون له: النار، فما رفع رأسه حتى طفت، فقيل له: أشعرت؟ قال: ألهتني عنها النار الكبرى».

يخضع لها الإمام السجاد عليه السلام، ستلحق ضرراً كبيراً بهذه الأعداد التي تتردد عليه، لو لم يكونوا ضمن رعيته وساكني بيته.

وبالتالي فهذه المدرسة التي أنشأها الإمام عليه السلام في بيته، ستكون كسراً للجمود الفكري والثقافي الذي حاول الحكام الأمويين فرضه على تلقي الناس علوم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله.

ولا تعد فترة ما قبل الحرية في جوار الصالحين من أمثال الإمام السجاد عليه السلام من فترات العبودية الحقيقية، لخلوها من لوازمها المعتادة، حيث كان الإمام عليه السلام يحرص كل الحرص على التعامل الإنساني معهم، ولم يترك شيئا يذكرهم بذلك، حتى في مخاطبته لهم، وقد كان يخاطبهم بقوله: يا بني[1]، بدلا من مناداتهم بالقول: يا عبدي ويا أمتي.

ولو قلبنا الحال بالعكس، لوجدنا أن هؤلاء الأرقاء كانوا في نعمة قد لا تتيسر لغيرهم من أهل ذلك الزمان، من حيث قربهم ومجاورتهم لخير أهل الأرض في زمانه، إضافة إلى تمتعهم بفيض عنايته.

بينما لم يحض بقية الناس بدرجة المجاورة والقرب والمعايشة اليومية له عليه السلام بهذه الصورة، مع أن الإمام السجاد عليه السلام كان راعيا للحوائج اليومية للفقراء والمساكين، حتى ذكر المؤرخون أنه كان يعول مائة بيت في المدينة[2]، وكان صاحب صدقة السر التي لا يعلم من تصله، هوية من جاء بها إلا بعد وفاته عليه السلام.

يقول أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن محمد بن إسحاق: «كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات

---

(١) ينظر تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٧.

(٢) ينظر التمهيد ـ ابن عبد البر ٩: ١٥٨.

علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل»[١]، وقال ابن عائشة: «سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين»[٢].

والإشكال الثاني الذي يمكن أن يطرح على الإمام السجاد عليه السلام هو عدم سعيه وهو من عظماء الإسلام لإصدار أو الدفع بالحكام لاتخاذ قرار يقضي بتحرير كل العبيد ممن لم يكونوا في خدمته كما حصل في تجارب لاحقة كتجربة لنكولن وغيرها ممن ألغوا العبودية بقرار واحد.

والحق أن هذا الإشكال عائد على النهج الإسلامي في هذا الموضوع عموما، وسيكون جوابه بالنسبة للإمام السجاد عليه السلام بملاحظة أمرين:

والأمر الأول هو أن القرار السياسي أو الحكومي بتسريح العبيد، لم يكن بيد الإمام عليه السلام، فقد كانت مقاليد الأمور في الدولة واتخاذ القرارات السيادية بيد أعدائه ومناوئيه من حكام بني أمية الذين اغتصبوا حق أهل البيت عليهم السلام في قيادة البشرية نحو صلاحها وصلاح أفرادها، فلا يستطيع الإمام والحال هذه أن يبادر بهذا القرار ـ إن صح اتخاذه ـ وإذا قيل أنه يستطيع المبادرة بإطلاق العبيد المملوكين له جملة واحدة، فإن المنافع التي سيحصل عليها أولئك العبيد من فترات المعايشة والتعلم ستزول.

والأمر الثاني أن المصدر الأساس للاسترقاق في ذلك الزمان وهو الحروب مع الدول المشركة لم يتوقف، فقد كانت الفتوحات مستمرة ما يعني مجيء أعداد متزايدة من الرقيق في كل حين، بحيث لا يمكن إصدار قرار إلغاء العبودية لعدم توقف منابعها.

---

(١) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ١: ٦٣٣.

(٢) البداية والنهاية ٩: ١٣٣.

ويحمل إلغاء الرق دون تدريج في ظل تلك الظروف إضراراً بالمالكين الذين دفعوا أموالا في سبيل عمليات الشراء تلك، كما أنه إضرار بالعبيد أنفسهم لعدم تأهيلهم بالصورة الصحيحة للاندماج فكريا وعمليا في المجتمع، وقد حصل هذا المحذور في التجربة الأمريكية حيث عاد بعض العبيد المحررين إلى ملاكيهم السابقين يستجدون منهم الإبقاء عليهم كخدم مقابل الحصول على لقمة العيش لعيالهم.

ومن المحتمل جدا، بل الأكيد أن المجتمع الذي يتم فيه التحرير بهكذا طريقة وبأعداد كبيرة سيعاني لفترة ليست قصيرة من آفات اجتماعية بسبب هذا الكم من العاطلين وغير المؤهلين لكسب أقواتهم، والذين يحملون ثقافات متباينة مما يولد أزمات قد تكون أخطر من العبودية نفسها، مثل الفساد الأخلاقي وشيوع السرقة ونحوها، والمطالع للتاريخ الأمريكي وما عاناه المواطنين السود طيلة العقود الماضية، يجد في ذلك ما يكفيه[1].

كما أنه قد يؤدي إلى التصادم المفاجئ مع المجتمع وما يحمله ذلك من تعريض المحررين لمشاكل التمييز العنصري والطبقي، خصوصا مع السياسة التي كان يتبعها الحكام القائمون في زمن الإمام السجاد عليه السلام القائمة على تفضيل العرب على غيرهم[2].

وقد كانت السياسة الإسلامية العادلة المتمثلة في تصرفات أهل

---

(١) ينظر كتاب أحرار في النهاية، ففيه الكثير من معاناة المواطنين الملونين في أمريكا.

(٢) بدأ هذا التفضيل واضحا في عهد عمر بن الخطاب قبل مجيء الأمويين حينما كان يفضل العرب على غيرهم في العطاء، واستمر لك إلى مجيء حكومة الإمام علي عليه السلام الذي أرجع الأمور إلى نصابها الإسلامي المحمدي «ينظر حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الشيخ باقر شريف القرشي ١: ٢٨٥».

البيت عليهم السلام في محاربة كافة أشكال التمييز العنصري واعية لذلك الخطر، بخلاف التجارب المماثلة عند الأمم الأخرى التي لم تتخذ خطوات عاجلة في هذا الباب مرافقة للتحرير.

ومما يؤثر عن أول الأئمة المطهرين عليهم السلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله لمن جاءه معترضا على مساواته للمسلمين في العطاء قائلاً: «أنا عربي وهذا مولى وتساوي بيني وبينه بالعطاء؟ فيقول له: خذ قبضتين من هذا التراب فانظر بماذا تفضل إحداهما الأخرى!!»[١].

كما ان عهده المشهور[٢] أيام خلافته إلى واليه على مصر مالك الأشتر يحمل وصيته الخالدة في هذا الباب: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك»[٣].

ومثله كان حفيده الإمام السجاد عليه السلام فقد كانت رسالة الحقوق التي ألفها وضمنها رسالة إلى أحد أصحابه، تمثل الدستور الذي يمكن أن يحفظ الحقوق المختلفة للناس، وقد حوت خمسين أو واحد وخمسون حقا على بعض الروايات[٤]، ولا زالت تشرح في كتب مستقلة على يد كثير من المفكرين.

---

(١) من فقه الجنس في قنواته المذهبية ـ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي: ٢٢٧.
(٢) تم اعتبار هذا العهد التاريخي القيم أخيراً من وثائق الأمم المتحدة.
(٣) جامع أحاديث الشيعة ـ السيد البروجردي ١٧: ٣٣٠.
(٤) جهاد الإمام السجاد عليه السلام: ٢٦١.

ويمكن أن نضيف أنموذجا آخر من التطبيق العملي للمساواة بين الأحرار والعبيد عند مطالعة أسماء أولاد الإمام السجاد عليه السلام ومعرفة الأمهات اللواتي أنجبن أولئك الأولاد، فمن بين خمسة عشر ولدا للإمام كان هناك ولد واحد[١] أمه من الأحرار هو الإمام محمد الباقر عليه السلام وباقي أولاده وبناته كانوا من أمهات جواري أو ما يطلق عليهن أمهات الأولاد، وفيهم من الشخصيات البارزة والجليلة أمثال زيد بن علي صاحب الثورة المعروفة على الأمويين[٢].

مع العلم أن الإمام السجاد عليه السلام كان يخير إمائه بين التزويج أو البيع أو العتق، وكان هذا التخيير يحصل كل شهر كما تحدثنا بذلك بعض المرويات[٣].

والإشكال الآخر على طريقة الإمام عليه السلام يتمثل في استخدام بعض العبيد كخدم، من حيث أن وجود الخدم في بيت يعد انتقاصا من إنسانيتهم، وإنزالا لهم في مراتب دنيا تقل عن مرتبة المخدومين وهذا يتعارض مع حقوق الإنسان.

والحق أن هذا الكلام يندفع عند إمعان النظر في سيرة أئمة أهل البيت الكرام عليهم السلام وطريقة تعاملهم المميزة مع جميع الناس سواء أكانوا من الأعداء أو من الأصدقاء، من العبيد أو الأحرار، وفي حمايته لأسرة العدو اللدود مروان بن الحكم من أحداث واقعة الحرة برهان على السمو الخلقي والتعامل الحسن[٤].

---

(١) هناك اختلاف في عدد أولاد الإمام عليه السلام وهناك رأي آخر يكون فيه اثنان من الأولاد من أمهاتهم من الحرائر والباقي من أمهات الأولاد.

(٢) ينظر الإرشاد ٢: ٢٠.

(٣) ينظر مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٠١.

(٤) ينظر جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني ٢: ٢٢٤.

والذل المتصور في هذه الحالة ينتفي أيضاً إذا لاحظنا أن الأعمال التي يقوم بها أولئك الخدم لا تختلف عن بقية الأعمال والمهن التي يمارسها الناس عادة، فالطبخ أو رعاية المزرعة أو العناية بالشؤون الأخرى لا تقلل من قيمة من يعملون بها عند الإمام عليه السلام لانعدام اللوازم الذهنية التي يفترضها المشكل، بل إن الاستعباد الحاصل من العمل في وظائف عند الحكومة أو عند بعض الأفراد من ملاك المصانع أو المزارع ونحوها هو المشكلة لعدم خلوه من شيء من الذل والمهانة وسلب الحرية في كل عصر ومصر.

والشاهد على ما قلناه أن المستخدمين أو العاملين في بيت الإمام عليه السلام لم يكونوا فقط من العبيد، بل إن بعض الأحرار كانوا يتطوعون لخدمة الإمام عليه السلام ويفخرون بهذا الشرف أملا في القرب من حامل شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وسبيلا للحصول على العلم النظري والعملي، تماما كما يقبل الكثيرون في عصرنا هذا وما سبقه من عصور على خدمة المراقد الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام، وكما يتسابق الموفقون لخدمة مراجع الدين وعلماء المسلمين.

وفي قصة أبي خالد الكابلي كفاية للتمثيل بها:

«كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهراً ولا يشك أنه الإمام حتى أتاه يوما فقال له: جعلت فداك، إن لي حرمة ومودة، فأسألك بحرمة الله ورسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: يا أبا خالد، لقد حلفتني بالعظيم، الإمام علي ابن أخي، علي وعليك وعلى كل مسلم، فلما سمع أبو خالد قول محمد بن الحنفية جاء إلى علي بن الحسين عليهما

السلام فاستأذن ودخل، وقال له: مرحبا بك يا كنكر!، ما كنت لنا بزائر، ما بدا لك فينا؟ فخر أبو خالد ساجدا لله لما سمع من زين العابدين عليه السلام هذا الكلام، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي، قال: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: لأنك دعوتني باسمي الذي لا يعرفه سوى أمي، وكنت في عمياء من أمري، ولقد خدمت محمد بن الحنفية عمراً لا أشك أنه الإمام حتى أقسمت عليه فأرشدني إليك، وقال: هو الإمام علي وعليك وعلى كل مسلم، ثم انصرف، وقد قال بإمامة زين العابدين عليه السلام»[1].

(١) ذوب النضار ـ ابن نما الحلي: ٥٣ ـ ٥٤

الرئيس لنكولن

كانت طريقة لنكولن في ذلك إصدار قرار حكومي باعتباره رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يقضي بتحرير العبيد بعد انقضاء مدة مائة يوم على بداية السنة الجديدة التي أعقبت سنة الإعلان.

وفيما يلي ترجمة لنص الإعلان الشهير الذي جاء فيه:

«أنه في اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر من عام ألف وثمانمائة واثنين وستين من الميلاد أصدر رئيس الولايات المتحدة إعلانا يتضمن ـ ضمن ما يتضمن ـ ما يلي:

أنه بدءا من اليوم الأول من شهر يناير لعام ألف وثمانمائة وثلاثة وستين من الميلاد فصاعدا ـ وإلى الأبد ـ يعتبر كل الأشخاص العبيد في إطار أية ولاية أو جزء من ولاية تشهد حالة من التمرد والعصيان المسلح ضد الولايات المتحدة أحرارا، وأن السلطة التنفيذية لحكومة الولايات المتحدة، بما في ذلك الجيش والبحرية سوف تعترف وتبقي على حرية هؤلاء الأشخاص، كما إنها لن تقدم على أي عمل أو أعمال من شأنها تقييد حرية هؤلاء الأشخاص أو أي منهم، فيما يبذلونه من جهد بغية تحقيق حريتهم بصورة فعلية.

وسوف تتولى السلطة التنفيذية في التأريخ المشار إليه عاليه تحديد الولايات أو أقسام معينة من الولايات التي لا تزال مستمرة في تمردها

ضد الولايات المتحدة، وذلك إذا كان هناك وجود لحالة التمرد وأن أية ولاية تكون في هذا التاريخ ممثلة في كونغرس الولايات المتحدة بواسطة أعضاء منتخبين حازوا في انتخابات عامة على ثقة أغلبية من لهم حق التصويت في هذه الولايات تعتبر بالدليل القاطع ليست في حالة تمرد ضد الولايات المتحدة.

وعليه، نحن أبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة بموجب السلطة المخولة لي كقائد أعلى لجيش وبحرية الولايات المتحدة، في حالة وقوع التمرد والعصيان المسلح ضد سلطة وحكومة الولايات المتحدة، وبحكم الضرورة وأعمال الحرب لقمع مثل هذا التمرد والعصيان، أعلن وأحدد بعد مرور مائة يوم بالكامل من تاريخ الأول من يناير لعام ألف وثمانمائة وثلاثة وستين، الولايات وكذا أقسام الولايات التي لا تزال مستمرة في حالة التمرد والعصيان المسلح، ضد الولايات المتحدة وهي:

ولايات اركانساس وتكساس ولويزيانا ـ باستثناء الدوائر الاقليمية لكل من سان برنارد وبلاكماينز وجيفرسون وسان جون وسان تشارلس وسان جيمس واسنسيون وأسامبشون وتيربون ولافورش وسانت ماري وسان مارتن وأورليانز بما في ذلك مدينة نيو أورليانز ـ والمسيسبي وألاباما وفلوريدا وجورجيا وساوث كارولينا ونورث كارولينا وفرجينيا ـ باستثناء المقاطعات الثمان والاربعين المعروفة بوست فرجينيا، وكذلك مقاطعات بيركلي وأكوماك ونورثامبتون واليزابيث سيتي ويورك وبرنسيس آن ونورفولك بما في ذلك مدينتي نورفولك وبورتسموث ـ وغيرها من المناطق التي لم يشملها هذا الإعلان بالتحديد في الوقت الراهن.

وبموجب السلطة ومن أجل الهدف المشار إليه سابقا نأمر ونعلن أن كل العبيد في الولايات أو بعض الأجزاء من الولايات المتحدة بعاليه هم أحرار وأن السلطة التنفيذية للولايات المتحدة بما في ذلك سلطات الجيش والبحرية سوف تعترف وتبقي على حرية هؤلاء الأشخاص.

ونحن نهيب بالأفراد الذين أعلن عن تحررهم الامتناع عن أشكال العنف كافة إلا في حالات الدفاع الشرعي عن النفس ونوصيهم في كل الحالات عندما يسمح لهم أن يعملوا بكل إخلاص وأمانة نظير أجور معقولة.

كما نعلن أيضاً عن إمكانية قبول مثل هؤلاء الأفراد ممن يتمتعون بصحة ولياقة مناسبة في خدمة القوات المسلحة للولايات المتحدة للدفاع عن الحصون والمواقع والمخافر وغيرها ولإدارة المركبات من جميع الأنواع في الخدمة المذكورة.

وبناء على ما قمنا به من تصرف نعتقد بشدة في عدالته التي كفلها الدستور في حالة الضرورة العسكرية التمس الحكم الصائب للبشرية ومساندة الله سبحانه وتعالى.

تم التوقيع على هذا الإعلان في حضور الشهود وختمه بخاتم الولايات المتحدة»[1].

وبعد قراءة هذا النص يتبين اشتماله على عدة مؤاخذات وهي إن كانت لا تقلل من أهمية القرار عند محبي الرئيس لكنها تلقي فسحة من الضوء على الفرق بيت التدبير الإلهي وبين الفعل البشري فالمحرر

---

(١) نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية ـ لاري إلويتز: ٣٨١ ـ ٣٨٣.

الأمريكي ورغم منصبه الحكومي وامتلاكه لسلطة ليست بالقليلة فإن قراره فيه عدة نقائص:

١ ـ لم يحتوي على أية اعتذارات عن الفترة السابقة التي ارتكبت فيها عمليات الاستعباد على نطاق واسع، وما صاحبها من معاناة لأجيال المستعبدين، وبذلك ينكشف شيئا من نظرة لنكولن إلى هذا الموضوع، التي تتطابق مع كلمات له سابقة يقول فيها: «أظن أنني لا أبتغي إبقاء أحد في حالة الرق إلا إن المشكل لا يبلغ من الوضوح ما يدفعني إلى إدانة صانعيه»[١].

٢ ـ لم يذكر نص الإعلان شيئا عن حال العبيد في الولايات الشمالية والغربية، أو التي لم تعلن قرار الانفصال والحرب على الاتحاد الأمريكي.

٣ ـ لم تذكر أية تدابير من شأنها مساعدة المحررين حديثا وتسهيل اندماجهم في المجتمع، نعم لا ننكر أنه عمليا وفي وقت لاحق، كانت هناك مكاتب تسمى مكاتب الرجال المحررين تشكلت قبل اغتيال لنكولن بمدة لتقديم المساعدة الصحية وبناء المدارس والمساعدة في إيجاد الوظائف[٢]، لكن النضال المستمر للمواطنين السود في أمريكا طيلة العقود اللاحقة والأثمان الباهضة التي دفعوها للحصول على حقوقهم تنبئ عن عدم كفاية تلك المكاتب في سد الاحتياجات القائمة.

وإذا أردنا الكلام على طريقة لنكولن، وبيان نقاط ضعفها وقوتها،

---

(١) الحلم والتاريخ: ٢٦٢.

(٢) ينظر أحرار في النهاية: ١٩.

فإن من الحقيقة أن نقول أن لنكولن كان يعلم الفرق بين التحرير التدريجي والدفعي والمشاكل التي تترتب على تحرير العبيد دفعة واحدة وضرورة وجود تدابير عملية للتصدي لها، وقد تحدث الرئيس نفسه قبل صدور الإعلان عن إمكانية اللجوء إلى الطريقة التدريجية، حيث يقول:

«ويبدو لي أن إتباع طريقة في التحرير تدريجية أمر ممكن، لكنني لن أبادر إلى الحكم على إخواننا الجنوبيين لتأخرهم في هذا المضمار»[١].

إلا أن الظروف القائمة، وسلطته هي التي دفعت به إلى اتخاذ هذا الأسلوب في حل المشكلة، وبالفعل لقد كان هناك تدريج أو محطات، لكن في تصرفات لنكولن السياسية تجاه هذه المعضلة إلا أن توصل إلى حلها وفيما يلي بعض المواقف من حياة ابراهام لنكولن في سعيه هذا:

١ ـ انضم لنكولن عام ١٨٥٦ إلى الحزب الجمهوري الذي أسس حديثا استياء من قانون كانساس ـ نبراسكا الذي يسمح بالعبودية في المناطق الغربية غير الآهلة بالسكان[٢].

٢ ـ قال لينكولن في خطابه الافتتاحي في ٤ آذار ١٨٦١ بعد انتخابه رئيساً:

«أنا لا أنوي إطلاقا، وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة أن أتدخل أو أعيد النظر في وجود الرق في الجنوب، وأعتقد أنني لا أملك أي حق مشروع في الإقدام على ذلك، و لا أي ميل إليه»[٣].

وفي هذا يقول الكاتب كلود جوليان: «عندما تعهد لنكولن بعدم

---

(١) الحلم والتاريخ: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.
(٢) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ١١٩.
(٣) الحلم والتاريخ: ٢٦٨.

التدخل في مسألة العبودية كان يريد الوفاء بعهده ويأمل من ذلك أن يضمن ولاء ولايات الكينتوكي والميسوري والماريلاند والديلاور التي كانت لا تزال على الحياد وكان يعرف بلا شك بأن قراراً بتحرير العبيد ستكون له نتائج ثلاث: إثارة الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب، ودعم أنصار إلغاء الرق له دعما ثابتا، وتعاطف أحرار ـ ليبرالي ـ أوربا الذين عليه أن يتفادى اعترافهم باتحاد الجنوبيين»[١].

٣ ـ في ٦ آب ١٨٦١، صدر قانون المصادرة الذي يمنح الحرية للعبيد المستخدمين في مساعدة العصيان[٢].

٤ ـ كان لنكولن يرى أن الدستور لا يخوله إلغاء الرق لذلك كان يأمل أن تمارس الولايات التي يسري فيها الرق سلطتها الشعبية لإلغائه، لذلك عمد الرئيس الأمريكي السادس عشر في ٦ آذار ١٨٦٢ إلى توصية الكونغرس بالتصويت على مشروع قانون يشتمل على تقديم معونة مالية اتحادية إلى كل ولاية تتخذ تدابير تحرير تدريجي ترافقها تعويضات مناسبة على مالكي العبيد[٣].

٥ ـ في ٩ أيار١٨٦٢ كان بالضد من قرار إلغاء العبودية الذي اتخذه الجنرال دافيد هنتر قائد القطاع الجنوبي، والذي تضمن تحرير جميع عبيد ولاية جورجيا وكذلك عبيد ولايتي كارولينا الجنوبية وفلوريدا، وقد أكره لينكولن الجنرال هنتر على التراجع عن

---

(١) الحلم والتاريخ: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٢) ينظر المصدر السابق.
(٣) ينظر المصدر السابق.

قراره، وقال: «لن يقدم أي جنرال على عمل هكذا، وأنا مسؤول، إن لم يستشرني»[١].

٦ ـ وبعدها بمدة وجيزة وبالتحديد في ٢٢ تموز ١٨٦٢ وفي أثناء انعقاد مجلس الوزراء، تلا الرئيس لينكولن بيانا يمنح الحرية للعبيد جميعاً في الولايات الانفصالية، لكنه اصطدم باعتراضات سيوارد[٢]، وزير خارجية لنكولن والذي كان منافسا شديدا له[٣].

٧ ـ وفي ٢١ أيلول ١٨٦٢ دعا لينكولن مجلس الوزراء إلى الانعقاد، وأشار إلى القرار السابق الذي عرضه عليهم قبل شهرين، ونشر تنبيها يسمى "وعد التحرير" الذي يقول فيه أن جميع عبيد الولايات المتمردة سيعلن تحريرهم في مدة مائة يوم أي في مطلع كانون الثاني ١٨٦٣ وستستخدم قوة الولايات المتحدة العسكرية لتحقيق حريتهم[٤].

٨ ـ وتأخرت موافقة مجلس الشيوخ على تعديل دستوري يحظر الاسترقاق حتى جاء يوم ٨ نيسان ١٨٦٤، ولم يتمكن الكونغرس من تحصيل أغلبية الثلثين اللازمة في المرة الأولى، فكان أن طلب الرئيس لنكولن في كانون الأول من العام ذاته أن يعيد ممثلو الأمة النظر في المشروع، فتمت أغلبية ثلثي الأصوات وبصعوبة[٥].

---

(١) ينظر المصدر السابق.
(٢) ينظر الحلم والتاريخ: ٢٧٢.
(٣) ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧: ٢٤٧.
(٤) ينظر الحلم والتاريخ: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.
(٥) ينظر الحلم والتاريخ: ٢٧٦.

المشمولون

الإمام السجاد عليه السلام

كان تحريره للعبيد يتعدى كل الفوارق المصطنعة في الجنس واللون والبلد الأصل، نظراً لأن العبيد الموجودين في ذلك العصر كانوا متنوعين في أعراقهم والمناطق التي جلبوا منها.

وقد حفظ التاريخ لنا بعضا مما جاء في شأن تحرير الإمام عليه السلام لأصحاب البشرة السوداء:

«ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم حاجة يأتي بهم إلى عرفات، فيسد بهم تلك الفرج والخلال، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال»[1].

وللتعرف على عدد من نالهم التحرير على يد الإمام زين العابدين عليه السلام نستمع إلى عبد العزيز سيد الأهل، وهو يكمل حديثه عن التعامل الإنساني الذي كان العبيد يحظون به فترة بقاءهم عند الإمام عليه السلام:

«وعرف العبدان ذلك فباعوا أنفسهم له واختاروه وتفلتوا من أيدي السادة ليقعوا في يده، وجعل الدولاب يسير والزمن يمر وزين العابدين يهب الحرية في كل عام وكل شهر وكل يوم، حتى صار في المدينة جيش

---

(١) إقبال الأعمال ١: ٤٤٥.

من الموالي الأحرار والجواري الحرائر، وكلهم في ولاء زين العابدين قد بلغوا خمسين ألفاً أو يزيدون»[١]، وفي موضع آخر يقول الكاتب نفسه: «وحسب علي فخراً أن يكون أقوى يد في الأيدي عملت على تحرير العبيد، وكان ينفق على هذا التحرير من ماله ومن كسبه، حتى أنهم ليقولون إنه أعتق مائة ألف من الموالي والجواري»[٢].

وبغض النظر عن الأعداد التي نالت الحرية على يد الإمام السجاد عليه السلام، وكونها أقل مما في عهد ابراهام لنكولن، بسبب الموقع الحكومي الذي كان يوجد لدى الرئيس الأمريكي، والذي لا يوجد عند الإمام السجاد عليه السلام، إلا أن أقل الأرقام المذكورة لا يمكن للمرء أن يقف عندها إلا والإعجاب يملؤه من قدرة فرد واحد في المجتمع على تغيير حياة الكثيرين.

ولذلك فإن جهد الإمام عليه السلام في هذا الباب، يجب أن ينظر له بعين الإكبار والتقدير العالي عند البشرية على اختلاف مشاربها للإنجاز الكبير المتحقق وللمميزات التي جاءت بها طريقته عليه السلام في إنجاز ذلك العمل، وسبقه التاريخي.

ومع ذكر الأعداد المحررة، يتبادر إلى الأذهان سؤال مهم، وهو من أين جاء الإمام السجاد عليه السلام بالأموال الكافية لشراء هذه الأفواج المتلاحقة من الناس؟!

والجواب على ذلك أن الإمام الرابع للمسلمين عليه السلام قد جند كل ما يملكه في سبيل تحقيق أهدافه في مساعدة الناس، ومما يذكر من أمواله

---

(١) زين العابدين ـ عبد العزيز سيد الأهل: ٤٧.

(٢) زين العابدين: ٧.

أنه كان له عين في ذي الخشب اشتراها منه الوليد بن أبي سفيان بسبعين ألف دينار، كما كان يملك عددا من البساتين والمزارع في أطراف المدينة كما يظهر من تفويضه عمارة أحد بساتينه إلى أحد خدمه[١].

وهناك أيضاً الأوقاف التي أوقفها رسول الله ﷺ وأوقاف السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأوقاف أمير المؤمنين عليه السلام وأوقاف الإمام الحسين عليه السلام التي آلت إدارتها والتصرف بها فيما يرضي الله إلى الإمام السجاد عليه السلام.

ومن أمثلة أوقاف خاتم النبيين ﷺ الأموال التي أوصى له بها الصحابي الجليل مخيريق[٢] قبل استشهاده في معركة أحد، والتي يقول عنها ابن حجر العسقلاني: «هي سبع حوائط الميثب والصافنة والدلال وحسنى وبرقة والأعواف ومشربة أم إبراهيم»[٣].

ومن أوقاف الرسول الأكرم ﷺ في خيبر: «الوطيح والكتيبة وسلالم وما حيز معهن»[٤].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «وقد مات رسول الله ﷺ وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير، وكان له وادي نخلة، وضياع أخرى كثيرة بالطائف»[٥].

---

(١) ينظر مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٧.

(٢) «صحابي، كان من علماء اليهود وأغنيائهم. أسلم، وأوصى بأمواله للنبي ﷺ وفى الحديث: مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، واستشهد بأحد» «الأعلام ـ خير الدين الزركلي ٧: ١٩٤».

(٣) الإصابة ٦: ٤٦.

(٤) تاريخ المدينة ١: ١٨٨.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٥: ١٤٧.

ومن أمثلة أوقاف السيدة الزهراء عليها السلام "أم العيال" وهي قرية بين مكة والمدينة(١)، و"فرع" بضم الفاء(٢)(٣).

ومن أمثلة أوقاف الإمام علي عليه السلام سويقة، «وهي موضع قرب المدينة»(٤)، وقد أصبحت فيما بعد منزل بني الحسن كما يقول الحموي(٥).

ووادي ترعة والفقران(٦)، ولأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أوقاف غير ما ذكرناه يتحدث عنها ابن شبة النميري في قوله:

«ولعلي رضي الله عنه في صدقاته "عين ناقة" بوادي القرى يقال لها "عين حين" بالبيرة من العلا. كانت حديثا من الدهر بيد عبد الرحمن بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي، فخاصمه فيها حمزة بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي ـ بولاية أخيه العباس بن حسن ـ الصدقة حتى قضى لحمزة بها، وصارت في الصدقة. وله بوادي القرى أيضاً عين موات خاصم فيها أيضاً حمزة ابن حسن بولاية أخيه العباس

---

(١) ينظر معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ١: ٢٥٤.

(٢) ينظر المصادر المالية لأهل البيت عليهم السلام ـ علي دوست الخراساني: ١٠٦.

(٣) قال في معجم البلدان ٤: ٢٥٢ «والفرع: قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة، وقيل أربع ليال، بها منبر ونخل ومياه كثيرة، وهي قرية غناء كبيرة، وهي لقريش الأنصار ومزينة، وبين الفرع والمريسيع ساعة من نهار، وهي كالكورة وفيها عدة قرى ومنابر ومساجد لرسول الله صلى الله عليه وآله قال ابن الفقيه: فأما أعراض المدينة فأضخمها الفرع وبه منزل الوالي وبه مسجد صلى به النبي صلى الله عليه وآله وقال السهيلي: هو بضمتين، قال: ويقال هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة، وهي من ناحية المدينة، وفيها عينان يقال لهما الربض والنجف تسقيان عشرين ألف نخلة».

(٤) معجم البلدان ٣: ٢٨٦.

(٥) ينظر المصدر السابق.

(٦) ينظر شرح إحقاق الحق ٨: ٩٥.

رجلين من أهل وادي القرى، كانت بأيديهما يقال لهما "مصدر كبير مولى حسن بن حسن"، و"مروان ابن عبد الملك بن خارست"، حتى قضى حمزة بها، فصارت في الصدقة. ولعلي رضي الله عنه أيضاً حق على عين سكر. وله أيضاً ساقي على عين بالبيرة وهو في الصدقة. وله بحرة الرجلاء من ناحية شعب زيد واد يدعي الأحمر، شطره في الصدقة، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي، منحة من علي، وكان كله بأيديهم حتى خاصمهم فيه حمزة بن حسن، فأخذ منهم نصفه. وله أيضاً بحرة الرجلاء واد يقال له "البيضاء" فيه مزارع وعفا وهو في صدقته. وله أيضاً بحرة الرجلاء أربع آبر يقال لها "ذات كمات"، و"ذوات العشراء" و"قعين" و"معيد" و"رعوان" فهذه الآبر في صدقته. وله بناحية فدك واد بين لابتي حرة يدعى "رعية" فيه نخل ووشل من ماء يجري على سقا بزرنوق فذلك في صدقته، وله أيضاً بناحية فدك واد يقال له "الاسحن"، وبنو فزارة تدعي فيه ملكاً ومقاماً، وهو اليوم في أيدي ولاة الصدقة في الصدقة، وله أيضاً ناحية فدك مال بأعلى حرة الرجلاء، يقال له "القصيبة"»[1].

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام وصيته في كيفية التصرف بأمواله وإنفاقها بعد عودته من حرب صفين في الموضع المسمى بمسكن:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به وقضى به في ماله عبدالله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ويصرف النار عنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أن ما كان لي من مال بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير أن رباحا وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ليس

---

(١) تاريخ المدينة ١: ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

لأحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وأرزاق أهاليهم، ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله من مال لبنى فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي بديمة وأهلها صدقة غير أن زريقا له مثل ما كتبت لأصحابه، وما كان لي بأذينة وأهلها صدقة والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من أموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا أنا أو ميتا ينفق في كل نفقة يبتغى بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد، فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل لا حرج عليه فيه، فإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين فليفعل إن شاء ولا حرج عليه فيه، وإن شاء جعله سرى الملك وإن ولد على ومواليهم وأموالهم إلى الحسن بن علي.

وإن كانت دار الحسن بن علي غير دار الصدقة فبدا له أن يبيعها فليبع إن شاء لا حرج عليه فيه وإن باع فإنه يقسم ثمنها ثلاثة أثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله وثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل أبي طالب، وإنه يضعه فيهم حيث يراه الله، وإن حدث بحسن حدث وحسين حي فإنه إلى الحسين بن علي وإن حسينا يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسنا له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن، وإن لبنى [ابني] فاطمة من صدقة على مثل الذي لبنى علي واني إنما جعلت الذي جعلت لابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل وتكريم حرمة رسول الله ﷺ وتعظيمهما وتشريفهما ورضاهما وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما ينظر في بني علي، فإن وجد فيهم من يرضى بهداه وإسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء.

وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي

طالب يرضى به، فإن وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذووا آرائهم فإنه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم وأنه يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق ثمره حيث أمرته به من سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث وإن مال محمد بن علي على ناحيته وهو إلى ابني فاطمة وأن رقيقي الذين في صحيفة صغيرة التي كتبت لي عتقاء.

هذا ما قضى به علي بن أبي طالب في أمواله هذه الغد من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول في شيء قضيته من مالي ولا يخالف فيه أمري من قريب أو بعيد»[1].

ومع هذه الوصية من أمير المؤمنين عليه السلام وأهلية الإمام السجاد لتولي إدارة تلك الأوقاف والصرف منها في حوائج المحتاجين، إلا أن السلطات الحاكمة في أوائل العهد الأموي كانت قد استولت على صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين إلى أن أعادهما إليه عبد الملك بن مروان أيام حكومته[2].

وبالإضافة إلى الموارد السابقة يمكن اعتبار الهدايا التي كانت تصل الإمام عليه السلام من بعض المحبين له، من موارد إنفاقه مع ما كان يكسبه من عمله، وليس هناك أشهر من الهدايا التي بعثها إليه المختار بن أبي عبيد الثقفي أبان قيامه لأخذ ثارات الإمام الحسين عليه السلام وقد قبلها الإمام عليه السلام[3].

---

(١) الكافي ٧: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) ينظر الإرشاد ـ الشيخ المفيد ٢: ١٥٠.

(٣) ينظر رجال ابن داود ـ ابن داود الحلي: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

ويمكن افتراض وصول بعض الأخماس إليه من أموال الشيعة المتفرقين في أرجاء البلاد الإسلامية والذين يدينون له بالإمامة والطاعة.

الرئيس لنكولن

كانت تجربة لنكولن منحصرة في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تشمل باقي بقاع الأماكن التي كانت تستطيع أمريكا أن توظف قدراتها فيها، بحكم الإمكانيات التي كانت تتمتع بها أو التي حصلت عليها لاحقا، ولم تأخذ بيد غيرها من الدول في معالجة هذه الظاهرة ولم تقدم المساعدة الواقعية في ذلك إلا بعد مرور مدة طويلة.

ولا يعني شمول العبيد الأمريكيين بقرار التحرير سوى فك عبوديتهم، وهو إنجاز كبير لكنه يفتقر إلى المزيد من الإجراءات المكملة له، حيث أن المساواة لم تقر في ضمن ذلك، ولعل لاعتقاد الرئيس لنكولن دخل في ذلك حيث لم يكن معتقدا بها، وكان يرى أن السود لا يساوون البيض أو حسب تعبيره: «وأنا بقدر أي آخر أقول أن المكانة العليا المتفوقة ينبغي أن تكون للعرق الأبيض»[1].

وهو بهذا يختلف عن الرؤية الصحيحة لحقوق الإنسان التي انتهجها الدين الإسلامي والتي كان يجسدها أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام ومنهم الإمام السجاد عليه السلام، في المساواة قبل وبعد التحرير.

وإذا كان عدد الأمريكيين المحررين بموجب ذلك القرار الحكومي

---

(١) الحلم أو التاريخ: ٢٦٦.

أكثر من المحررين بجهود الإمام السجاد عليه السلام، فهم لم يحصلوا سوى على تحرير يمكن وصفه بأنه "تحرير شكلي" أو "تحرير من الخارج فقط" خلصهم من دور عبودية وأبقاهم مستعبدين في جوانب أخرى، أو أن صفحات أخرى من المعاناة جاء دورها في حياتهم، قد تكون أشد ظلما وإيلاما من العبودية نفسها، وسيمر وقت طويل من النضال والتضحيات، قبل أن تلغى كل تلك المآسي من حياتهم أو ذكرياتهم.

وحتى يكون كلامنا مصحوبا بالدليل نذكر بأنه ورغم التضحيات الكبيرة التي قدمها الجنود السود في الحرب الأهلية خدمة للاتحاد، فأن التمييز العنصري في الجيش الأمريكي بين أفراده البيض والملونين كان سائدا وشرعيا، حتى تم إلغاؤه رسميا بعد سنين طويلة من إعلان التحرير بأمر من الرئيس هاري أس ترومان سنة ١٩٤٨[1].

(١) ينظر أحرار في النهاية: ١٧.

النتائج

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام السجاد عليه السلام

يمكن ملاحظة نتيجتين مهمتين في المجتمع الإسلامي أبان عصر الإمام السجاد عليه السلام نتيجة استمرار عملية التحرير وبالطريقة المتبعة.

والنتيجة الأولى هي تشكيل نواة الجامعة الإسلامية الكبرى التي تتخذ من تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام منهجا لها، وهذه البذرة ستثمر وتترسخ لبناتها وستتضح معالمهما أكثر وأكثر في عهد الإمامين محمد بن علي الباقر عليه السلام وولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام حتى يصل عدد الأساتذة الكبار الذين يأخذون علومهم مباشرة من الأئمة عليهم السلام إلى رقم كبير، قد لا تتوفر عليه جامعات عالمية كبرى حتى في وقتنا الحالي، وهذا العدد يصفه الراوي بقوله:

«إني أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد»[1].

وقد يشك البعض في واقعية هذه النتيجة باعتبار أنها من منجزات الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، في فترة الضعف السياسي الذي أصاب دولة الأمويين فيما بعد.

وهذا الشك يتبنى مبدأ الفجأة في حصول الأمور العظيمة، وهو

---

(١) تاريخ الكوفة ـ السيد البراقي: ٤٦٦.

مخالف للتوسع التدريجي بحسب الظرف في نشر علوم محمد وآل محمد ﷺ، والتصدي لهيمنة الحكام المعادين وأفكارهم المنحرفة على مقدرات المسلمين ومنعهم من الارتواء من المعين الصافي للإسلام، ويغفل أن أهل البيت عليهم السلام تتكامل أدوارهم وتترابط، خدمة للدين الحنيف، وأن أحد الأركان البارزة للجامعة وهو الإمام الباقر عليه السلام من خريجي مدرسة أبيه عليه السلام.

ولا تعني صعوبة الظروف المحيطة ومراقبة الحكام أن يتوقف الإمام الحق عليه السلام عن تبليغ الرسالة المحمدية وإيصالها إلى الأجيال الجديدة، لكن الوسيلة أو الطريقة الكفيلة بذلك تختلف من حين لآخر، ففي بداية استلام الإمام السجاد عليه السلام لمقاليد الإمامة الإلهية وهي الأشد صعوبة من بين كل الفترات، كان تبليغ الأحكام يتم بواسطة عمته السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، في ممارسة غير مسبوقة حتى أنها عدت شاهدا لما جرى فيما بعد أوان بدء غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، كما تحدث بذلك رواية أحمد بن إبراهيم:

«دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا، أخت أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام في سنة اثنتين وستين ومائتين فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم، ثم قالت: والحجة ابن الحسن بن علي فسمته، فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبرا؟ فقالت خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه، فقلت لها: فأين الولد؟ فقالت: مستور، فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟ فقالت ـ لي ـ إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام، فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي عليه السلام فإن الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج عن علي بن

الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب ستراً على علي بن الحسين عليه السلام، ثم قالت: أنكم قوم أصحاب أخبار أما رويتم أن التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة»[1].

وهذه الجامعة الوليدة لم تقتصر في إفاضاتها على المحررين فقط، بل شملت أسماء لامعة ممن كان لهم وجود في عالم الإمام عليه السلام من العبيد والأحرار على حد سواء، ومن خريجيها: أولاده الإمام الباقر عليه السلام وزيد الشهيد والحسين الأصغر ومولاه شعيب والتابعين سعيد بن المسيب وسلمة بن دينار وإبراهيم بن أبي حفصة وعبيد الله بن زبيد مولى آل علي والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعبدالله بن المستورد مولى الإمام زين العابدين عليه السلام وزياد مولى بني هاشم، ووصل عددهم كما ذكرهم الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله إلى ما يقارب المائة والسبعون راويا بين رجل وامرأة[2].

ومن معالم التربية الفكرية التي نالها العبيد في مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام والتي تمثل النتيجة الثانية المهمة لعملية التحرير، اتساع نطاق المحبين والمتشيعين لأهل البيت عليهم السلام في البلاد الإسلامية.

ففي بداية الأمر ـ أي في الأيام الأولى لتسلمه الإمامة ـ يصف الإمام عدد محبيه في المدينة المنورة، ومكة المكرمة ـ وهما سكنى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سابقا ولاحقا ـ بأقل من عشرين رجلا: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلا يحبنا»[3]، وحتى أن الثورة التي وقعت في المدينة المنورة

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق: ٥٠٧.
(٢) ينظر رجال الطوسي ـ الشيخ الطوسي ١٠٩ ـ ١٢٠.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٤.

حيث يسكن الإمام السجاد عليه السلام بعد واقعة الطف واستشهاد سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بسنة واحدة ضد حكم يزيد بن معاوية، وبقيادة عبدالله بن الصحابي حنظلة غسيل الملائكة لم يذكر فيها أي شعار من شعارات المحبين لأهل البيت عليهم السلام كالشعار المشهور يالثارات الحسين، لذلك لم يظهر الإمام عليه السلام تجاهها موقفاً إيجابياً يذكر[١].

حتى يصل الأمر إلى قوة كبيرة لا يستهان بها، كما في رواية عبد الغفار بن القاسم: «كان علي بن الحسين خارجا من المسجد، فلقيه رجل فسبه فثار إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل ورجع إلى نفسه، قال: فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، قال: وكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد المرسلين»[٢].

وكما في دفاعهم في مكة عن عم الإمام السجاد محمد بن الحنفية وبقية بني هاشم المحاصرين من عبدالله بن الزبير، حيث تجمع قوم من السودان ضد أوامر ابن الزبير، حتى إن ابن عمر رأى غلاما له في جمعهم اسمه رباح وهو شاهر سيفه فخاطبه ابن عمر قائلاً: «رباح! قال رباح: والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا. فبكى ابن عمر، وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا»[٣].

وفي هذا تحول فكري وسياسي في وقت واحد ناتج عن حسن

---

(١) ينظر رجال تركوا بصمات على قسمات التأريخ ـ السيد لطيف القزويني: ١٥٥.
(٢) تهذيب الكمال ـ المزي ٢٠: ٣٩٧.
(٣) جهاد الإمام السجاد ـ السيد محمد رضا الجلالي: ١٤٧.

أخلاق الإمام عليه السلام وطريقة تعامله مع الخلل الذي أصاب المجتمع على كل الأصعدة بسبب الحكام الذين لا يمثلون الإسلام.

وفيه أيضاً تحول على مستوى الحس الموجود عند العبيد المحررين، فقد أصبحت لهم مشاركة فاعلة في القضايا العامة التي تمس حياة عظماء الإسلام، وتسجيل صفحة مشرقة في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام.

ويتضح تأثير الإمام في المجتمع بصورة عامة من الهيبة التي كانت له عليه السلام في قلوب الناس مما لم يمتلكه الحكام رغم سطوتهم وتجبرهم، ومن شواهدها المعروفة انفراج الناس عنه عندما جاء يستلم الحجر الأسود بخلاف هشام وقصيدة الفرزدق في مدح الإمام عليه السلام واليك النص:

«لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقد تقدم ذكره وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
اللّه شرفه قدما وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... تستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم
لا يخلف الوعد مأمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
عم البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها الغباية والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أو له نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا والدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق، وأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم، فردها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها»[١].

وإذا كانت النتائج المتحققة في صعيد حقوق الإنسان على يد أهل البيت عليهم السلام، قد خف تأثيرها العالمي في العصور اللاحقة، كما هو شأن الكثير من المفاهيم والتطبيقات التي جاء بها الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وحل محلها أفكار وأساطير وتصرفات غير إسلامية صنعتها الحكومات المتسلطة المتعاقبة، تماما كما حصل في الشرائع السابقة التي انقرضت تعاليمها، والفرق أن الأحكام الإسلامية لم تنقرض بل ضعف مستوى تطبيقها إلى حد مخيف، وضعفت المعرفة بها إلى درجة كبيرة إلى حد أن فكرة المجتمعات الغربية عن حال المرأة في الإسلام وحقوقها التي ميزها الله بها عن الرجل، لا يتعدى ما يسمى بحريم السلطان وهي من بنات أفكار العباسيين والعثمانيين وأمثالهم.

وبناء على ما جاء في الرسالة السماوية الخاتمة لكل الأديان، وأن الغاية من تعاليمها السمحة هداية البشر ودفعهم للوصول إلى المراتب العليا في الأخلاق والإنسانية، وكما خوطب النبي محمد صلى الله عليه وآله بذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣]، فإن من أسباب شيوع الظلم على مستوى الأفراد

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان ٦: ٩٥ ـ ٩٧.
(٢) الأنبياء: ١٠٧.
(٣) مكارم الأخلاق ـ الشيخ الطبرسي: ٨.

والجماعات في مختلف أنحاء الأرض هو غياب تلك الأفكار عن التطبيق، أو سعي من تسمى بحكم المسلمين على التصرف خلاف ما قام به الأئمة والصالحون.

الرئيس لنكولن

من الطبيعي أن تكون نتيجة إعلان التحرير سارة لدى الغالبية العظمى من الأرقاء ـ إن لم نقل كلهم ـ على الرغم من غياب بعض التصرفات المطلوبة من الحكومة والتي لابد أن ترافقه وتمهد له، ومن حق الرئيس أبراهام لينكولن أن يفخر بإنجازه، كما إن من حق المواطنين الأمريكيين من ذوي الأصول الأفريقية إظهار الفرح والبهجة، لكن الحقيقة أن هناك مصاعب جمة في طريق كرامتهم واستعادتهم لإنسانيتهم المفقودة بسبب التصرفات البشرية، وعليهم بعد انتهاء أفراحهم أن يدركوا أن هناك غولا لا يقل سوءا عن العبودية ونعني به التمييز العنصري.

ومما ساهم في تعزيز وجود هذا التمييز وزيادة مظاهره في ذلك الحين، عدم تقبل غالبية المواطنين البيض من أصحاب المصالح لإلغاء العبودية، والمساواة بين الأعراق المتنوعة، وعدم وجود تشريعات دينية أو قانونية فاعلة ضده آنذاك، بل على العكس فإن بعض تفسيرات المحكمة الفيدرالية لبعض النصوص ساهمت في إدامة هذه المأساة إلى وقت قريب، كما حصل عام ١٨٨٣ عند اعتبارها أن قانون الحقوق المدنية لعام ١٨٧٥ مخالف للدستور[١].

---

(١) ينظر أحرار في النهاية: ٢١.

وكنتيجة للتحرير وإسدال الستار على العبودية، كان على المحررين البدء بمراحل نضالية جديدة في حياتهم وحياة أبنائهم، وهي التصدي للتمييز بكافة أشكاله وتطبيقاته وصولا إلى حق المساواة مع غيرهم من الأمريكيين، وبالفعل والتأريخ يشهد فإن المواطنين من غير البيض، قد سطروا في العقود والسنين اللاحقة ملاحم بطولية وتضحيات يفتخرون بها.

ولبيان المصاعب التي واجهوها سنورد بعض أهم المحطات التاريخية في سبيل تحقيق هدفهم المنشود في إلغاء التمييز العنصري.

* كانت ردود الفعل ضد الأفريقيين الأميركيين الذين تمّ منحهم سلطات مؤخراً أشد قساوة، وكان على المحررين حديثا التعرض لهجمات منظمات إرهابية سرية، مثل فرسان الكاميليا البيضاء، نسبة إلى اسم زهرة الكاميليا البيضاء التي تنمو في الجنوب وقصد منها الإشارة إلى نقاوة العرق الأبيض، ومنظمة كوكلاكس كلان kkk[1] التي شنت هجمات عنيفة لإخافة الناخبين السود وإبعادهم عن صناديق الاقتراع، حتى بلغت ضراوة تلك الهجمات أن أرسل الرئيس يوليسوس إس غرانت ثلاث كتائب من قوات المشاة وأسطولاً من سفن المدفعية لضمان حصول انتخابات عادلة في نيو

(١) وهي منظمة الغرض منها تثبيت حكم البيض وإحباط برنامج العمل على مساواة البيض والسود في الحقوق السياسية والاجتماعية واستعملت وسائل العنف ضد السود وقد انضم لها الكثير من الخارجين على القانون وكانوا يقومون بأعمالهم ليلا متلبدين بملابس بيضاء مغطين رؤوسهم ووجوههم» «ينظر المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧ : ٢٧٣».

أورلينزعام ١٨٧٤، واستخدم غرانت الجيوش الفدرالية لسحق منظمة الكلان ولكن العنف استمر بعد أن قام مقاتلون من البيض بتشكيل نوادٍ اجتماعية غير رسمية وصفها المؤرخ جميس إم ماكفرسون، بأنها تنظيمات شبه عسكرية عملت كقوات إضافية مسلحة للحزب الديمقراطي في الولايات الجنوبية[١].

* خلال السنوات التي تلت الحرب الأهلية، ولا سيما بعد العام ١٨٩٠، تبنت حكومات الولايات في الجنوب قوانين التمييز العنصري التي تفرض فصل العرقين في كل مظهر تقريباً من مظاهر الحياة اليومية.

فرضت هذه القوانين وجود مدارس عامة منفصلة، وعربات قطار منفصلة ومكتبات عامة منفصلة، وحتى فرضت إنشاء نوافير مياه الشرب، ومطاعم، وفنادق منفصلة.

عرف هذا النظام بصورة غير رسمية بنظام جيم كرو، وهي عبارة مأخوذة من أغنية ظهرت عام ١٨٢٨ في عرض موسيقي وتقول: اقفز يا جيم كرو، التي كان يؤديها عادة ممثلون بيض يظهرون على المسرح بطلاء أسود على وجوههم بشكل كاريكاتوري يمثل الرجل الأسود غير المتعلم ذي المنزلة الدنيا، لم يكن ممكناً قيام نظام جيم كرو، لو فسرت المحاكم الفدرالية بصورة واسعة الحمايات التي وفرها الدستور، لكن الفرع القضائي اختار بدلاً من ذلك الاعتماد على التقنيات الدقيقة والثغرات لتجنب إسقاط قوانين التمييز العنصري.

---

(١) ينظر أحرار في النهاية: ٢٠.

وفي العام ١٨٧٥، أصدر الكونغرس ما سوف يكون آخر قانون حول الحقوق المدنية لمدة قرن بالكامل، منع هذا القانون أي فرد من حرمان مواطنين من أي عرق أو لون كانوا من المعاملة المتساوية في المرافق العامة كالمسارح، وأماكن التسلية والترفيه العامة، كما وفي وسائل النقل العام، لكنه وفي العام ١٨٨٣، أعلنت المحكمة العليا أن هذا القانون مُخالف للدستور واستندت في قرارها إلى أن التعديل الرابع عشر[١] يحرّم التمييز العنصري من قبل الولايات وليس من قبل الأفراد. لذلك لا يستطيع الكونغرس أن يحظر أعمال التمييز العنصري التي يقوم بها الأفراد[٢].

* كان التمييز العنصري في الجيش الأمريكي ساري المفعول إلى وقت طويل رغم التضحيات الكبيرة والجسيمة التي قدمها المقاتلون الملونون على مر السنين وخصوصا في فترة الحرب الأهلية، وكان الإلغاء بمرسوم جمهوري في عام ١٩٤٨ أصدره الرئيس هاري إس ترومان[٣].

* في يوم ١٥ آذار ١٩٦٥ أصدر الرئيس الأمريكي جونسون القانون

---

(١) «تعرف التعديلات العشرة الأولى من الدستور بـ "وثيقة الحقوق" وكانت قد اقترحت في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٧٨٩، وقد تم إقرارها في ١٥ كانون الأول/ ديسمبر، ١٧٩١. وفي الأصل كانت هذه التعديلات تنطبق على الحكومة الفدرالية، إلا أن التعديل الرابع عشر أعلن أنه لا يمكن لأي ولاية أن تحرم الفرد من حق الحياة والحرية والملكية دون اتباع "الإجراءات القانونية المعمول بها". وقد فسرت المحكمة العليا هذه التعابير بأنها تعني أن معظم بنود وثيقة الحقوق ينطبق على الولايات أيضا» «حول أميركا: ٣٢».

(٢) ينظر أحرار في النهاية: ٢٠.

(٣) ينظر رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ وحتى اليوم: ٢٣٣.

المعروف بحقوق التصويت، والذي منع ما كان يقوم به بعض المسؤولين في الولايات والمجتمع الأهلي من حرمان بعض السود من حق الانتخاب تحت ذرائع مختلفة مثل عدم دفع ضريبة الرأس وهي ضريبة وهي ضريبة خاصة كانت تفرض بصورة متساوية على كل عضو في المجتمع الأهلي، وكان المواطنون الذي يتخلفون عن دفع هذه الضريبة يعتبرون غير مؤهلين للتصويت، أو اشتراط النجاح في امتحانات القراءة والكتابة مسيطر عليها ويتشدد فيها بالنسبة للأمريكيين من أصول أفريقية، وجاء هذا القرار بعد معاناة طويلة ومظاهرات سلمية طالب فيها السود بحقوقهم، وقد تم قمع إحدى هذه المظاهرات بقسوة فيما يعرف عند الأمريكيين بالأحد الدامي وهو يوم ٧ آذار ١٩٦٥[1].

* «قام جيل جديد من القادة الأميركيين الأصليين ـ الهنود الحمر سابقا ـ بتنظيم صفوفه للدفاع عن الحقوق التي وعدت الحكومة بتوفيرها لهم في مختلف المعاهدات الموقعة مع المجموعات القبلية. لجأوا إلى العملية القضائية لاستعادة سيطرتهم على الأراضي القبلية وحقوق المياه واستخدموا العملية التشريعية للحصول على المساعدة التي يحتاجون إليها لإسكان وتعليم شعبهم. كان بن نايتهورس كامبل أول أميركي أصلي ينتخب عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٩٢.

أما الأمريكيون اللاتينيون ـ من أصل إسباني ـ لاسيما تلك العائلات

---

(١) ينظر أحرار في النهاية: ٥٧ ـ ٥٨.

التي جاءت من المكسيك وأميركا الوسطى وبورتوريكو، وكوبا فقد زادوا من نشاطهم السياسي أيضاً. جرى انتخابهم لإشغال مناصب على المستوى المحلي، وعلى مستوى الولايات، وعلى المستوى القومي، كما نظموا صفوفهم لمكافحة التمييز العنصري»[1].

(١) ترجمة لكتاب موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ـ مكتب برامج المعلومات العالمي: ٧٠.

والكتاب الأصل U.S.A. HISTORY IN BRIEF موجود في الموقع الإلكتروني: http:// www.america.gov/publications/books/learner_english.html

الصدى الإعلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والإعلام هو المجال الأرحب الذي لم يتفوق فيه أحد على الأمريكان لحد الآن، بل هم صناعه ومالكي أسراره، والمدركين لآثاره ونتائجه.

وليس من البدعة القول أنهم يصنعون رموزهم من ابسط المواقف والانجازات ويسلطون بقعة الضوء على ما قاموا به من أعمال مناسبة، ويهملون ما عداها.

ولولا براعتها في استخدام سلاح الدعاية جيدا، لما استطاعت هذه الأمة الوليدة التي لا يتعدى تأريخها عدة قرون سابقة أن تتبوء مقدمة الأمم، وتصنع لها حضارة مادية حديثة ذات إنجازات عالمية كبيرة لا تضر بها الملاحظات العديدة حول ظروف نشوء تلك الحضارة، وأسباب ديمومة تطورها.

يقول الكاتب بيير سلنجر في حديثه عن إتقان الأمريكيين لاستعمال سلاح الدعاية والإعلام في فرض رؤيتهم الخاصة على الغير: «إن لم يكن الأمريكيون هم الذين اخترعوا الدعاية إلا أنهم بالمقابل هم الذين جعلوا منها سلاحاً فعالاً للتحكم بالجماهير وللغزو السياسي والاقتصادي والثقافي»[1].

---

(١) أمريكا المستبدة ـ بيير سلنجر: ١٧٠.

ويمكن لنا أن نمثل على ما طرحناه في سطورنا السابقة بشأن غلبة الإعلام الأمريكي مع وضوحه وبداهته في أذهان الكثيرين بما يتعلق بموضوع كتابنا وهو تحرير العبيد، فعلى الرغم من التجارب الإنسانية المتعددة قديما وحديثا في تحرير العبيد، والمتقدمة زمنا على التجربة الأمريكية، إلا أن الصدى الإعلامي الذي أخذته هذه التجربة أنسى كل ما سبقها، فالكثير من الناس لا يعلم بوجود أو لا يتذكر ـ مثلاً ـ القرار الفرنسي بإلغاء الرق في السنة الثانية بعد قيام الثورة الفرنسية أي عام ١٧٩١، والذي أصدره مجلس الثورة الذي حل محل الجمعية التأسيسية، وجاء فيه:

«يعلن مجلس الثورة إلغاء استرقاق الزنوج في جميع المستعمرات الفرنسية، وعلى ذلك يقرر بأن جميع الناس المقيمين في المستعمرات الفرنسية دون تمييز في اللون هم مواطنون فرنسيون ويتمتعون بالحقوق التي يضمنها الدستور»[1].

وهذا القرار مع تساويه بسبب الاعتماد على صلاحيات المنصب مع التجربة الأمريكية اللاحقة في الاقتصار على الموجودين في المستعمرات الفرنسية دون باقي أهل الأرض، إلا انه يتفوق على إعلان ابراهام لنكولن بصراحته في إعطاء المساواة ـ ولو بالنص فقط ـ وإلغاء التمييز العنصري.

كما لا يعلم كثير من الناس أيضاً بالتجربة البريطانية في تحرير العبيد حينما قررت إلغاء الرق في مستعمراتها في عام ١٨٣٣ بعد أن سبق ذلك

---

(١) الرق ماضيه وحاضره: ١٥٥ ـ ١٥٦.

بمرحلتين: الأولى إلغاء نظام الاسترقاق في الجزر البريطانية سنة ١٧٧٢ والثانية تحريم تجارة الرقيق فيها سنة ١٨٠٧[١].

مع تفوق هذه التجربة على نظيرتها الأمريكية بمحاولة توسيع التجربة والانطلاق إلى مديات أوسع في حث الدول الأوربية الأخرى على إلغاء الرق، وتحقيق نتائج باهرة حيث استجابت اسبانيا وألغت العبودية عام ١٨٣٥، وتلتها البرتغال عام ١٨٣٩، وعادت فرنسا مرة أخرى لإصدار قرار بإلغاء الرق في المستعمرات الفرنسية عام ١٨٤٨، ذلك القانون الذي يقترن ذكره بالسياسي المشهور فيكتور شولشير الذي كرس حياته لتحرير الزنوج[٢].

ثم جاء الدور في الإلغاء على هولندا والدنمارك في عام ١٨٦٠[٣]، قبل سنين عديدة من القرار الأمريكي المشهور.

وإيرادي لذكر التجربتين الفرنسية والبريطانية في هذا المجال تنبيه وتمثيل على أن التفوق الإعلامي الأمريكي في تسويق رموزه عالميا مع فقدانه للأفضلية والأسبقية، لم يقتصر علينا نحن العرب أو المسلمون، بل يتعداه إلى الدول الغربية الأخرى المتقدمة عليهم في اتخاذ تلك القرارات لكنها لم تأخذ الصدى الإعلامي العالمي كما أخذته وتأخذه لحد الآن تجربة لينكولن.

وأرجو أن لا يدور في خلد البعض أن ذكر الفرنسيين والبريطانيين،

---

(١) ينظر تاريخ أوربا في العصر الحديث: ٣٥٣.
(٢) ينظر الرق ماضيه وحاضره: ١٥٧.
(٣) ينظر المصدر السابق.

وبيان قصورهم الإعلامي تجاه الأمريكان، سيثبط الهمم ويدعو إلى الاستسلام والانكفاء على الذات، بل إن الغرض من ذلك الدفع باتجاه دراسة التجربة الأمريكية المتفوقة بالشكل الذي ينتج المستوى الأعلى في تخليد رموزنا، وإعطائهم المكان اللائق بجهودهم في خدمة البشرية، وإفادة العالم بما قدموه من انجازات لا يمكن أن تقارن مع ما يلصقه الأمريكان بعظمائهم.

ومن الأمثلة الأخرى للتسويق الإعلامي الأمريكي الحاذق، محاولتهم تلطيف الأيام الأولى التي رافقت مجيء الغزاة الأوربيين إلى الأراضي الأمريكية، واضطهادهم للسكان الأصليين، عبر تخليد بعض الشخصيات النسائية التي ساعدت المستوطنين الجدد أو ساعدت البعثات الأمريكية في أوائل أيام الدولة وقدمت لهم بعض الخدمات التي سهلت تمكنهم من تسلم مقاليد الأمور في الأرض الجديدة، وإظهارهم بمثابة جسور التواصل بين الطرفين، ومن أبرز تلك الشخصيات التي أخذت حيزاً كبيراً في ماضي وحاضر الأمريكيين، بوكاهونتاس[1] الملقبة ببطلة

---

(١) ولدت في نحو العام ١٥٩٥ وهي ابنة زعيم هندي أحمر يقود قبيلة ألغونكوين التي كانت تقطن في منطقة أصبحت تعرف اليوم بولاية فرجينيا، ساهمت في إنقاذ حياة قائد سفينة المهاجرين القادمين إلى مستوطنة جيمس تاون بعد وقوعه أسيراً لدى قبيلتها، ساهمت في تحسين العلاقة مع المهاجرين وقدمت لهم بعض المساعدات، تزوجت بوكاهنتاس من رجل إنجليزي اسمه جون رولف ويقال: إن بوكاهنتاس تحولت عند زواجها إلى اعتناق المسيحية متخذة اسم "ربيكا" وفي العام ١٦١٦ سافرت بوكاهنتاس في رحلة بحرية إلى إنجلترا مع زوجها وابنها الصغير، وصاحب الزيارة اهتمام كبير ودعاية واسعة. فقد جرى تقديمها إلى الملك جيمس الأول وإلى أفراد العائلة المالكة لكنها أصيبت بمرض فتاك وهي في طريق العودة من رحلتها وتوفيت في شهر آذار ١٦١٧. ودفنت في غريفسند بإنجلترا. «ينظر نساء ذوات نفوذ: ٣».

السلام والمستكشفة ساكاجاويا[١] التي خلدت في العام ٢... في عملة معدنية من فئة دولار حملت صورة متخيلة لها وهي تحمل طفلها[٢].

ولسنا ضد الأمريكيين أو أي شعب آخر يسعى لرفع زعمائه ومكانتهم، إلا أننا ومن باب الموضوعية نضع علامات تعجب على هذا التمجيد الواسع الذي حظيت به شخصية أبراهام لنكولن، فمهما كان حجم الانجاز المتحقق من إعلانه تحرير العبيد، فإنه إنجاز غير مكتمل يخلو من أشياء عديدة توفرت في تجارب سابقة، لم تحظ بالقدر المماثل من الاهتمام والصدى، ومن أهم الأشياء الناقصة، بقاء التمييز العنصري على حاله كما هو واضح من كلمات المحرر العظيم نفسه، وكما هو واضح من استمرار نضال المواطنين الأمريكيين السود للحصول على مزيد من الحقوق.

---

(١) وهي من أفراد قبيلة شوشون التي كانت تقطن في مدينة ايداهو الحالية وقد أسرت ساكاجاويا في مرحلة مبكرة من حياتها من قبل قبيلة منافسة وقد بيعت أو جرت مقايضتها مع تاجر فراء فرنسي كندي اسمه توسانت تشاربونو، وقد تزوجته في وقت لاحق وعندما كان عمرها حوالي السادسة عشرة، ولدت ساكاجاويا طفلا في ضواحي فورت ماندان في منطقة داكوتا بغرب الولايات المتحدة الأميركية، وفي العام ١٨٠٥ استعين بزوجها لمساعدة حملة تشكلت حديثا بقيادة ميريويثر لويس ووليام كلارك، عهد اليها الرئيس توماس جيفرسون بإيجاد ممر إلى المحيط الهادي وسرعان ما أثبتت ساكاجاويا التي كانت تتقن عدة لهجات هندية أهميتها كمترجمة، ومرشدة، وكرمز لقبائل متعددة للنوايا السلمية للحملة، وحتى كدبلوماسية عندما اصطدمت بعصابة ليمهي التي كانت عندئذ بزعامة أخيها وقد أقنعت العصابة بتوفير خيول وامدادات وملاذ، وهي الأشياء ذاتها التي جعلت الحملة ممكنة وقد اعتنت ساكاجاويا بطفلها جان بابتيست ونقلته طوال الرحلة الصعبة بعد الحملة، عاشت ساكاجاويا وزوجها لفترة في سانت لويس قبل أن يعودا إلى داكوتا ويعتقد على نطاق واسع بأنها توفيت في العام ١٨١٢، رغم أن امرأة مسنة ادعت أنها ساكاجاويا توفيت العام ١٨٨٤. «ينظر نساء ذوات نفوذ: ٤».

(٢) ينظر المصدر السابق.

وهناك أيضاً توفير الحد الأدنى من متطلبات العيش الكريم للأفراد المحررين حديثا تعويضا لهم عن الأيام البائسة التي واجههوها هم وأسلافهم في غياهب العالم الجديد.

ومع غياب كل ما سبق فإنه لم يكن هناك أي اعتذار رسمي عن الجرائم التي حصلت للمحررين أو آبائهم في الحقب السابقة للتحرير وبشكل يساعد على غلق الملفات العالقة وطي الذكريات السيئة.

وكل تلك النواقص لم تمنع العقل الأمريكي المعترف بها من إدراج ابراهام لنكولن في سجل الخالدين، وتسويقه إلى المجتمع الدولي في براعة متناهية باعتباره محرر العبيد العالمي، وكانت طرق التسويق والتمجيد متنوعة، فهناك يوم في شهر فبراير/ شباط من كل سنة، يطلق عليه في الولايات المتحدة تسمية "يوم الرؤساء" وهو عطلة فيدرالية للاحتفال بعيد ميلاد الرئيسين الأمريكيين جورج واشنطن وابراهام لنكولن المولودين في أيام وسنين مختلفة في هذا الشهر[١].

بالإضافة إلى وجود النصب التذكاري القومي ماونت رشمور في ساوث داكوتا الذي يضم تماثيل لعدد من أشهر رؤساء الولايات المتحدة أمثال جورج واشنطن وتوماس جيفرسون وثيودور روزفلت وابراهام لينكولن، فقد احتفلوا في سنة ١٩٢٢ بتدشين نصب أبراهام لنكولن التذكاري على أحد مداخل العاصمة واشنطن، وهو تمثال ضخم مصنوع من الرخام الأبيض بارتفاع يزيد على خمسة أمتار ونصف، يتكون من ٢٨ قطعة تم تجميعها في موقعه[٢].

---

(١) ينظر يوم الرؤساء: ٢.

(٢) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ١١.

وبعيدا عن التماثيل فإن لينكولن يحتل مكانه في العملة الأمريكية كباقي كبار الرؤساء الأمريكيين حيث تزينت فئة الـ ٥ دولار بصورته، وهناك حاملة طائرات باسم ابراهام لنكولن، ولم يترك الخلف أية مناسبة للتكريم إلا واستغلوها لتمجيد رئيسهم حتى أن المنحة الأمريكية لعدد من الطلاب الفلسطينين والتي تبلغ قيمتها ٣٠٠ ألف دولار سميت باسمه[١].

ولو طالعنا إعلامهم المرئي في السينما والتلفزيون، وهم أصحاب هوليوود التي يعبر عنها أحد الكتاب "المدفعية الهوليوودية"[٢] لوجدنا عنايتهم بالأفلام التي تتحدث عن سيرة حياة الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة، وكل مدة يطلون علينا بفلم جديد يحكي جزءا من سيرته وأعماله.

وإذا كانت مجاراتهم في الجانب السينمائي تكاد تكون مستحيلة في الوقت الحاضر، فإن اللحاق بهم والتنافس معهم قد يكون أقل صعوبة في الإعلام المقروء، طبعا بعد ربط الأحزمة وإيجاد ستراتيجيات جديدة في هذا الباب، وبارق الأمل الذي نضيئه في كلماتنا هذه، لا يعني أنهم متأخرون في مجال الكتابة أو متقاعسون، بل على العكس فإن المقارنة بيننا وبينهم في مجال التأليف ستكون بعيدة، لكنها غير مستحيلة مع التذكير بأن عدد الكتب المؤلفة عندهم والمتحدثة عن الرئيس لنكولن يصل إلى أكثر من ١٤... كتابا[٣]، وهو رقم لم نبلغه لحد الآن في سيرة

---

(١) ينظر الخبر المنشور في موقع دنيا الوطن: www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/06/29/139170.html

(٢) ينظر أمريكا المستبدة: ١٧٥.

(٣) ينظر أبراهام لنكولن ارث من الحرية: ١١.

سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله، أو سيرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام مع الفارق الزمني بين الطرفين، حيث أن وفاة لنكولن أو انجازه الأكبر في التحرير لم يتجاوز المائة والخمسين عاما. وحتى يكون الألم باعثا على الأمل فإن هناك إحصائية أجراها أحد الباحثين المتخصصين وهو المحقق عبد الجبار الرفاعي، تظهر العدد القليل للكتب التي الفت بصورة مستقلة عن حياة بعض الأئمة كما تبرز الفرق الشاسع في الكم بين ما نكتب ويكتبون، بين ما نقرأ ويقرئون.

وأرجو أن لا تحدث كلماتي جرحا في نفوس محبي أهل البيت عليهم السلام، بل أرغب في تصحيح الرؤية حين أقول أن الإحصائية السابقة تتحدث عن عدم وصول الكتب المستقلة الخاصة عن حياة بعض الأئمة الطاهرين عليهم السلام إلى رقم المائة كتاب!!

حيث كانت الكتب المتعلقة بحياة الإمام الباقر عليه السلام ٦٩ كتابا، والإمام الجواد عليه السلام ٦٢ كتابا، والإمام الحسن العسكري عليه السلام ٦٦ كتابا، والإمام الهادي عليه السلام ٧٩ كتابا[1]، ولا يختلف حال الكتب عن بقية الأئمة عليهم السلام لا يختلف كثيرا.

وعلينا في دأبنا لتقليص الفجوة وتدارك التقصير أن نضع حديث الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله من أحيا أمرنا»[2] نصب أعيننا ونتوكل على الله.

ومن ما صنعه الأمريكيون لتسهيل أمر الكتاب والباحثين في سيرة

---

(١) ينظر سيرة الأئمة عليهم السلام ـ مهدي البيشوائي: ٢٢ ـ ٢٣، موضوع مقدمة سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني التي كتبها، كتقديم للكتاب.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ٣: ٢٨٧.

محرر العبيد الأمريكي أن خصصوا مكتبة في سبيرنغفيلد بالينوي، تدعى مكتبة ابراهام لنكولن الرئاسية، توفر لقاصديها معلومات ونسخ عن تفاصيل حياة الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة[١].

ومن مظاهر تمسكهم وعنايتهم الفائقة بإحياء آثار زعمائهم، وعدم نسيان شيء حتى التفاصيل الصغيرة التي يشتهر بها، فإن هناك نقابة تسمى "جمعية ممثلي لنكولن" شأنها شأن الجمعيات والنقابات الأخرى تعقد مؤتمرات سنوية لاجتماع أعضائها مع بعضهم وتبادل النصائح المهنية وتحسين أداء أعمالهم التجارية، ويرتدي أعضاء الجمعية الذين يمثلون شخصية لنكولن سترة طويلة سوداء اللون وقبعة مستديرة عالية على غرار ما كان يلبس لنكولن، ويضعون لحية سوداء مستعارة، إن لم تكن حقيقية.

ويعود كل منهم بعد المؤتمر إلى حيث جاؤوا منتعشين لبدء عملهم بنشاط متجدد في المدارس، وإلقاء الخطب في النوادي أو الاستعراضات في المعارض، وهي نشاطات بمثابة عمل تبشيري بلنكولن في بلد يعتقدون أنه بحاجة إلى لنكولن أكثر من أي شيء آخر[٢].

وإذا أردنا أن نستفيد من تجاربهم في هذا المضمار فعلينا البدء باتخاذ خطوات فاعلية، في التعريف بقادتنا وأئمتنا محمد وآل محمد ﷺ الذين تخلو سجلات الأمم الأخرى من نظائرهم أو أمثالهم، ويكون البدء بالتعريف الداخلي أي توجيه أنظار المسلمين إلى تلك الرموز وأفعالهم، عبر وسائل متنوعة مثل الأفلام والمسلسلات وتسمية

---

(١) ينظر ابراهام لنكولن ارث من الحرية: ١٥.
(٢) ينظر المصدر السابق.

المدارس والشوارع والساحات بأسماء عظماء الإسلام بدلا من بعض التسميات التي لا تعبر عن شيء، وإعداد مناهج تاريخية تهتم بذلك بصورة أكثر مما نراه حاليا من اهتمامها بالتاريخ القديم أو الأوربي أو تاريخ الملوك والسلاطين الذين لم يجلبوا لنا غير الدمار والتخلف وشيوع المفاسد الأخلاقية في طبقات واسعة من المجتمع.

ومن الطرائف المؤلمة أن أغلب مدننا ـ إن لم تكن كلها ـ بما فيها المقدسة، تكاد تنعدم أسماء وألقاب وكلمات إئمتنا الطاهرين عليهم السلام في معالمها الحضارية من مدارس وشوارع وساحات ونحوها، وجل انشغالنا وتنازعنا في تسمية هذا المستشفى باسم من تنتسب إليه الحركة الحزبية أو المجموعة الفلانية مع كامل احترامنا لكل الرموز الدينية.

وحتى الكلمات القصار الصالحة لأن تكون مشاعل نور تضيء للأجيال والتي جادت بها قرائح أهل البيت عليهم السلام نغلب عليها ما نطقته أفواه القادة الدينيين مع وضوح الفرق بين ذاك الكلام وهذا الكلام، من غير أن يحمل كلامي على انتقاص مقام علمائنا وقادتنا.

وعلينا أيضاً الاهتمام بالكتابة في أنواعها القديمة والحديثة وتوجيه الشباب وترغيبهم فيها والرفع من شأن يمارسون كتابة التاريخ الإسلامي والسيرة، حتى يتوفر لنا كم يخلف مقام السابقين، وجعل المجيدين منهم هم المقصودون بكلمة "المبدع" بدلا مما هو المعروف حاليا من إطلاق هذه اللفظة على العازفين والمغنين وشعرائهم وأمثالهم ممن تصلح لهم الكلمة بإضافة التاء بعد الباء.

ولنا كل الثقة والأمل بعهد جديد وخصوصا في هذه السنين وبعد سقوط نظام الطاغية الذي كان جاثما على صدور العراقيين وخرب البلاد

ودمر العباد، من خلال القائمين على إدارة العتبات المقدسة واللجان الثقافية المشكلة فيها، ودورها في تطوير الأقلام الشابة ودعمها من أجل الارتقاء بالحركة العلمية والثقافية إلى أعلى مستوياتها نسأل الله أن يأخذ بأيدي جميع العاملين ويوفقهم لخدمة محمد وآل محمد ﷺ وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين.

الخلاصة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بعد أن تطرقنا بشكل مسهب لتفاصيل عملية التحرير عند كل من الإمام السجاد عليه السلام والرئيس لنكولن، حان الوقت لإيجاز ما توصلنا إليه على نقاط قليلة، لإتمام الفائدة من البحث والإحاطة بنتائجه، واليك هذه النقاط مع التذكير مرة أخرى بأننا في أوراقنا هذه نقارن بين تجربتين إنسانيتين وليس بين الشخصيتين ونحاول أخذ العبر والاستفادة من كل منهما دون غض النظر عن موارد القصور والنقص بحسب متطلبات ذلك العمل النبيل وما يرد في أذهاننا:

١ ـ بالنسبة للدوافع وراء القيام بتحرير العبيد، فإن من الطبيعي ملاحظة الفرق الشاسع في التجربتين، فدوافع إمام تختلف عن دوافع رجل السياسة، ومن البداهة القول أن دوافع الإمام السجاد عليه السلام من عمله هذا بل وسائر أعماله نيل رضا الباري عز وجل، بينما في السياسة أو "فن الممكن" كما يطلق عليه تكون المصلحة هي الأهم سواء كانت الشخصية أو الحزبية أو مصلحة الأمة بأجمعها، فكانت الدوافع النقطة الأولى الفارقة في النظر إلى مقومات التجربتين.

٢ ـ أما بالنسبة للطريقة، فإن الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يمر بها كل واحد من المحررين العظيمين، قد تفرض عليه

استعمال هذا النوع دون غيره، و لا تنافي بين الأسلوبين المتخذين لتنفيذ ذلك، لأن الإمام السجاد عليه السلام ومن خلال الطريقة التدريجية في تحرير العبيد المنسجمة مع وضعه الذي كان فيه مبعدا عن استلام منصب قيادة المسلمين في عصره، والملائمة للظروف التي يمر بها المجتمع آنذاك من فقر ثقافي وجهل بأحكام الدين وعدم معرفة بحقوق أئمة أهل البيت عليهم السلام وتمييز عنصري يأخذ بتلابيب الحياة، وحاجة العبيد المحررين إلى الارتواء من معين قرب الإمام عليه السلام، وتعلم فنون المعيشة للتهيؤ لاكتساب لقمة العيش، كان يحاول من خلال العتق الإسهام في بناء حياة جديدة لهؤلاء، كلبنة من لبنات المجتمع الإسلامي.

أما الرئيس الأمريكي، فطريقته أيضاً كانت ملائمة لما كان يمر به من تحديات، ولا يعقل أن نطالبه بالتحرير التدريجي، إلا أن ما يؤاخذ عليه هو نقص التدابير المساعدة في عملية التحرير، كتوفير مستلزمات العيش الكريم للمحررين الجدد، عبر تعويضات مجزية عن فترات القهر التي مروا بها هم وأسلافهم، و الاعتذار منهم، والمساعدة في تعميم التجربة إلى الدول الأخرى، لتكون لها الصبغة العالمية.

ومن الملاحظات المسجلة أيضاً والمهمة بالطبع، أن التجربة الأمريكية لم تصل بالمحررين إلى الحرية الكاملة والمساواة مع مواطنيهم البيض، بل ظلوا يعانون من التمييز العنصري، وعلى المستوى الرسمي والقانوني إلى وقت قريب، و لازالت المعاناة من التفرقة والتصرفات المبنية على أساس العرق واللون موجودة لكن بشكل أقل بكثير على المستوى الشعبي.

٣ ـ وعلى صعيد المشمولين والنتائج المتحققة لهم، فإن بإمكاننا القول بأن تجربة الإمام عليه السلام ونهجه في تحرير العبيد دون الالتفات إلى أعراقهم وألوانهم وجنسياتهم، تكسب هذه التجربة الرائدة صفة العالمية، بينما انحصرت تجربة ابراهام لنكولن وبحسب ما كان يمر به بالولايات الأمريكية وبالتحديد ولايات الجنوب التي ثارت في وجه حكمه مع وجود قوانين في بعض الولايات الأخرى لتحرير العبيد.

لكن هذا لا يعني التقليل من نتائج تلك الأفعال الإنسانية، حيث يشهد العالم بالتقدم الذي يمر به المواطنين السود في أمريكا، حتى أن السنين القريبة شهدت وصول باراك أوباما إلى رئاسة الولايات المتحدة كأول رئيس ملون في تأريخها، وفي هذا الصدد يقول أوباما وخلال أحدى الاحتفالات بذكرى مولد الرئيس لنكولن: «أنني أقر بعرفان خاص لهذه الشخصية الفريدة الذي تمكن بطرق كثيرة من جعل قصتي ممكنة، والذي جعل بأساليب متعددة أيضاً قصة أميركا ممكنة»[1].

وقد شهد التاريخ الإسلامي تقدما مماثلا في تطوير حياة المحررين، حيث برز الكثير من الموالي واشتهروا في إسهاماتهم في صنع الحضارة الإسلامية، وأصبح منهم علماء يشار لهم بالبنان كنتيجة لسماحة التعاليم الإسلامية وتخطيط قياداته الحقيقية من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

لكن هذه المنجزات الحضارية لأفراد الشعب الإسلامي من موالي وغيرهم قد تراجعت بعد مدة مديدة نتيجة سياسات الحكومات الجائرة المنشغلة بملاحقة ملذاتها الخاصة، فساد التخلف والجهل العلمي

---

(١) ابراهام لنكولن أرث من الحرية: ٣٩.

والثقافي وظهرت إشارات على التمييز العنصري ضد العبيد وغيرهم وتراجع التاثير المطلوب للأفكار الإسلامية عن الساحة العالمية، وللآن يبحث المسلمون عن بزوغ فجر جديد ينير دجى الحياة، ويبدد آلامها ويملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً على يد حفيد الإمام السجاد عليه السلام الإمام الغائب المهدي المنتظر عجل الله فرجه وسهل مخرجه.

٤ ـ ولاحظنا اختلاف الصدى الإعلامي الذي حظيت به كلتا التجربتين، والتفوق الأمريكي الكبير في ذلك، ورغبتنا في اللحاق بهم في هذا المجال، وتطوير قدراتنا في تخليد عظمائنا الذين يستحقون ذلك بكل تأكيد.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم: الشيخ جعفر السبحاني.

٣ ـ ابراهام لنكولن ارث من الحرية: وزارة الخارجية الأمريكية مكتب برامج الإعلام الخارجي.

٤ ـ أحرار في النهاية: وزارة الخارجية الأمريكية مكتب برامج الإعلام الخارجي.

٥ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٣م.

٦ ـ الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران، المطبعة خورشيد، ط٤، ١٣٦٣ ش.

٧ ـ استغلال الأجير وموقف الإسلام منه: الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، الناشر دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٨ ـ الإسلام وتحرير العبيد: آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار النبلاء، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد وعلي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

١٠ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي (ت: ١٤١٠هـ)، الناشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

١١ ـ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج حسن الأمين، الناشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٢ ـ إقبال الأعمال: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، طبع ونشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرفة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣ ـ الأمالي: الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، الناشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ

١٤ ـ أمريكا المستبدة: بيير سلنجر، ترجمة الدكتور حامد فرازات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

١٥ ـ الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية: الشيخ جعفر النقدي (ت: ١٣٧٠هـ)، الناشر مكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، المطبعة المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط٢، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

١٦ ـ إيب لنكولن من الكوخ إلى البيت الأبيض: سترلنج نورث، ترجمة أحمد كمال، الناشر عالم الكتب، القاهرة، مطبعة المعرفة.

١٧ ـ بحار الأنوار: المولى محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق محمد الباقر البهبودي ـ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، الناشر مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٨ ـ البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتدقيق وتعليق علي شيري، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٩ ـ تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة: الدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠ ـ التاريخ الصغير: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الناشر والمطبعة دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢١ ـ تاريخ الكوفة: السيد حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي (ت:١٣٣٢هـ) استدراك السيد محمد صادق آل بحر العلوم، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، الناشر انتشارات المكتبة الحيدرية، المطبعة شريعت، ط١، ١٤٢٤هـ

٢٢ ـ تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت:٢٦٢هـ)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الناشر دار الفكر، قم، مطبعة قدس، ١٤١٠هـ

٢٣ ـ تاريخ أوربا الحديث: جفري برون، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٢٤ ـ تاريخ أوربا في العصر الحديث: هـ ا. ل. فشر، تعريب أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع، الناشر دار المعارف بمصر، ط٦، ١٩٧٢م.

٢٥ ـ تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين المعروف بابن عساكر (ت:٥١٧هـ)، تحقيق علي شيري، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، ١٤٠٤هـ

٢٧ ـ تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٨ ـ تكملة منهاج الصالحين في أحكام القضاء والشهادات والحدود: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت:١٤١٣هـ)، نشر مدينة العلم ـ آية الله العظمى السيد الخوئي، المطبعة مهر، قم، ط٢٨، ١٤١٠هـ

٢٩ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن محمد بن

عبدالله بن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مطبعة المغرب وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.

٣٠ ـ تنزيه الإمام الحسن عليه السلام ومحاكمة النصوص: منذر كاظم آل هريبد، منشورات العتبة العباسية المقدسة ـ وحدة الدراسات والنشر، كربلاء المقدسة، المطبعة دار البرهان، بيروت، ط١، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٣١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق و ضبط وتعليق د. بشار عواد معروف، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٢ ـ جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي (ت: ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

٣٣ ـ جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن محمد بن عبدالله بن عبد البر النمري (ت:٤٦٣هـ)، الناشر والمطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٤ ـ جهاد الإمام السجاد عليه السلام: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، الناشر دار الحديث، المطبعة شمشاد، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٥ ـ الحلم والتأريخ أو مئتا عام من تاريخ امريكا: كلود جوليان، نقله إلى العربية نخلة كلاس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٨٩م.

٣٦ ـ حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (ت:١٤٣٣هـ)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٧ ـ حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم (ت:١٣٩١هـ)، الناشر انتشارات المكتبة الحيدرية، المطبعة شريعت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٨ ـ حول أميركا: وزارة الخارجية الأمريكية ـ مكتب الإعلام الخارجي.

٣٩ ـ الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت:٥٧٣هـ)، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيد محمد باقر الموحد الابطحي، الناشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، المطبعة العلمية، قم، ط١ كاملة محققة، ١٤٠٩هـ.

٤٠ ـ رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٧٨٩ حتى اليوم: اودو زاوتر، الناشر دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٦م.

٤١ ـ رجال ابن داود: الحسن بن علي بن داود الحلي (ت:٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٤٢ ـ رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: السيد لطيف القزويني.

٤٣ ـ الرق في الإسلام: أحمد شفيق، ترجمة أحمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٤٤ ـ الرق ماضيه وحاضره: عبد السلام الترمانيني، من سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ١٩٧٩م.

٤٥ ـ روضة الواعظين: العلامة محمد بن الفتال النيسابوري (ت:٥٠٨هـ)، تقديم السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم.

٤٦ ـ رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام: السيد علي خان المدني الشيرازي (ت:١١٢٠هـ)، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، الناشر والمطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط٤، ١٤١٥هـ

٤٧ ـ زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: عبد العزيز سيد الأهل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م.

٤٨ ـ سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٩ ـ سيرة الأئمة عليهم السلام: مهدي البيشوائي، تعريب حسين الواسطي، الناشر والمطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، ١٣٨٤ ش ـ ١٤٢٦هـ.

٥٠ ـ شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي (ت:١٤١١هـ)، تصحيح السيد إبراهيم الميانجي، الناشر منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٥١ ـ شرح اللمعة المسمى الروضة البهية: زين الدين العاملي المشهور بالشهيد الثاني (ت:٩٦٦هـ)، تحقيق السيد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، مطبعة أمير، قم، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٢ ـ شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: شرح وتحقيق حسن السيد علي القبانجي الناشر والمطبعة مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٣ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت:٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

٥٤ ـ الصحيفة السجادية (أبطحي): الإمام زين العابدين عليه السلام، تحقيق السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الناشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط١، ١٤١١هـ.

٥٥ ـ طرائف رؤساء أمريكا: مجدي قطب، الناشر والمطبعة دار المعارف، القاهرة.

٥٦ ـ العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي (ت: ٧٠٥هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، إشراف السيد محمود المرعشي، الناشر مكتبة آية الله المرعشي العامة، المطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧ ـ العروة الوثقى: آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (١٣٣٧هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٨ ـ عمدة القاري في شرح البخاري: محمود بن أحمد العيني (ت:٨٥٥هـ)، الناشر دار أحياء التراث العربي، بيروت.

٥٩ ـ غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: الميرزا أبو القاسم القمي (ت:١٢٢١هـ)، تحقيق: عباس تبريزيان، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، المطبعة مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٠ ـ في رحاب العقيدة: السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، مؤسسة المرشد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٦١ ـ الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت:٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران، المطبعة حيدري، ط٥، ١٣٦٣ ش.

٦٢ ـ الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير (ت:٦٣٠هـ)، نشر وطبع دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٦٣ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت:٦٩٣هـ)، الناشر دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦٤ ـ كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥هـ

٦٥ ـ لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التأريخ: ل. سيغال، دار دمشق للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٧٤.

٦٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت:٨٠٧هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٧ ـ المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجزء الأول حتى ١٨٧٧:

الدكتور محمد محمود النيرب، الناشر دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٦٨ ـ المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، المطبعة دار المعرفة، بيروت.

٦٩ ـ مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥هـ)، الناشر ابن المؤلف، المطبعة شفق، طهران، ط١، ١٤١٢هـ.

٧٠ ـ مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، الناشر دار صادر، بيروت.

٧١ ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: ثقة الإسلام أبو الفضل علي الطبرسي (ت: ق٧)، تحقيق مهدي هوشمند، الناشر والمطبعة دار الحديث، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٢ ـ المصادر المالية لأهل البيت عليهم السلام: علي دوست الخراساني، تعريب عبد الرحيم الحمراني، دار الكتاب العربي، بغداد، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٧٣ ـ مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: محمد بن طلحة الشافعي (ت: ٦٥٢هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطية.

٧٤ ـ معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٧٥ ـ المعجم القانوني: حارث سليمان الفاروقي، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، المطبعة مطابع ثيبو برس، ط٣، ١٩٩١م.

٧٦ ـ المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر دار إحياء التراث العربي، ط٢.

٧٧ ـ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ)، تقديم وإشراف كاظم المظفر، الناشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، المطبعة المكتبة الحيدرية في النجف، ط٢، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٧٨ ـ مقارنة الأديان، الإسلام تأليف الدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣م.

٧٩ ـ مكارم الأخلاق: الشيخ رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، الناشر منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٨٠ ـ مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم (ع): ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني (ت:١٣٤٨هـ)، تحقيق السيد علي عاشور، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط١ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٨١ ـ من فقه الجنس في قنواته المذهبية: الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، الناشر: انتشارات الشريف الرضى، المطبعة أمير، قم، ط١، ١٣٧٠هـ

٨٢ ـ مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب (ت:٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.

٨٣ ـ منهاج الصالحين: السيد علي الحسيني السيستاني، الناشر مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، قم، المطبعة مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ

٨٤ ـ منهاج الصالحين: الشيخ وحيد الخراساني

٨٥ ـ موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي، الناشر والمطبعة دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٨٦ ـ موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام: الحاج حسين الشاكري، الناشر نشر الهادي، قم، المطبعة ستارة، ط١، ١٤١٧هـ

٨٧ ـ الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت:١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٨٨ ـ نساء ذوات نفوذ: وزارة الخارجية الأمريكية ـ مكتب برامج الإعلام الخارجي.

٨٩ ـ نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية: لاري إلويتز، ترجمة جابر

سعيد عوض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٦م.

٩٠ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، نشر وطبع دار الثقافة، لبنان.

٩١ ـ يوم الرؤساء: وزارة الخارجية الأمريكية ـ مكتب برامج الإعلام الخارجي، ٢٠١٢م.

فهرس المحتويات

الإهداء ٧
شكر وتقدير ٩
مقدمة الباحث ١١
المقدمة الأولى: نظرة تاريخية على الرقّ ١٥
منشأ الرقّ ١٧
الرقّ في الفلسفة والأديان ٢١
تجارب عالمية في التحرير ٣٣
أشكال العبودية ٣٥
المقدمة الثانية: تعريف بالمحررين ٣٩
الإمام السجاد عليه السلام ٤١
الرئيس لنكولن ٥٥
الدوافع ٦٥
الإمام السجاد عليه السلام ٦٧
الرئيس لنكولن ٧٩
الطريقة ٨٥
الإمام السجاد عليه السلام ٨٧

الرئيس لنكولن ١٠١
المشمولون ١٠٩
الإمام السجاد عليه السلام ١١١
الرئيس لنكولن ١١٩
النتائج ١٢١
الإمام السجاد عليه السلام ١٢٣
الرئيس لنكولن ١٣١
الصدى الإعلامي ١٣٧
الخلاصة ١٥١
المصادر والمراجع ١٥٧

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى